



كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

# كاسيون

اسبوعية - 24 صفحة ● الثمن «50» ل.س ● دمشق ص.ب «35033» ● تليفاكس «00963 11 3120598» ● بريد الكتروني: general@kassioun.org



[14]

## ب 5% من الموازنة

## يتم إلغاء الطلب على 96 مليون دولار

### الافتتاحية

### خطوة إضافية باتجاه الحل

تضمن بيان قمة ثلاثي أستانا يوم الأربعاء الماضي، الأول من الشهر الجاري، أربع عشرة نقطة، وامتاز عن البيانات السابقة بشمول أوسع لجوانب المسألة السورية.

وإذا كان بين البنود ما هو مكرر من البيانات السابقة، وخاصة البنود المتعلقة بوحدة سورية وضمن سيادتها والعمل المشترك لتطبيق القرار 2254، فإن البيان الأخير حمل إضافة نوعية عبر الموقف المشترك من مسألتين أساسيتين: الجولان السوري المحتل، والعقوبات.

قبل الدخول في معاني هاتين النقطتين، لا بد من الإشارة إلى أن قمة الأربعاء هي سادس قمة ثلاثية لرؤساء روسيا وإيران وتركيا خلال عامين ونصف، ابتداءً من القمة الثلاثية الأولى بتاريخ 2017/11/24. وحجم النشاط العالي جداً لهذه الثلاثية، ناهيك عن اجتماعات أستانا نفسها ولقاءات وزراء الخارجية الثنائية والثلاثية، هو مؤشر إضافي يدعم ما قلناه مراراً من أن مسار أستانا هو في جوهره منظومة إقليمية بإطلاقة دولية، نشأت على أساس الموضوع السوري، ولكن أبعادها أكبر وأوسع، وأن كل المحاولات الغربية لفرط عقد أستانا وإيقاع الفتن بين أطرافه باءت بالفشل.

بالعودة إلى البيان، فإن الحديث عن التصدي المشترك للعقوبات الغربية الأحادية يفتح الباب لتفعيل انتماء سورية اقتصادياً إلى العالم الجديد بالمعنى الاقتصادي والمالي، وبكل أبعاد ذلك العالم وطاقتها الكامنة، وبعيداً عن منظومة النهب الدولارية. ولكن تحويل هذا التوجه إلى أمر واقع لإنقاذ الشعب السوري من كارثته التي لا تكف عن التعمق، يتطلب بالضرورة تهيئة البنية المناسبة في سورية نفسها للانخراط الفعلي في العالم الجديد. هذا بدوره يتطلب الانفصال كلياً عن منظومة الدولار ووضع حد نهائي لمنظومات الفساد والنهب والكومسيون المرتبطة جميعها بالغرب، بشكل أو بآخر. كل ذلك يعيدنا إلى النقطة الأساسية الواجبة التحقيق لمنع انهيار سورية وللحفاظ على وحدتها وسيادتها، أي: نحو التنفيذ الكامل للقرار 2254، وهو ما أكد عليه وزير الخارجية الروسي يوم الجمعة الماضي خلال لقائه مع وفد ليبي في موسكو.

النقطة المتعلقة بالجولان السوري المحتل، هي الأخرى تحمل أهمية كبرى، فالقرارات الدولية التي تؤكد سورية الجولان، وتطالب بانسحاب العدو الصهيوني منها لا تزال معلقة دون تنفيذ. وإذا كان التوازن الدولي السابق قادراً على منع تنفيذها، فإن التوازن الجديد يسمح بذلك. وينبغي للقوى والدول التي لها مصلحة في استقرار سورية والمنطقة أن تزود الشعب السوري بالدعم اللازم بأشكاله المختلفة لإجبار الصهاينة على الانسحاب من الجولان، كجزء من عملية الحل السياسي الشامل.

إن الإنجازات التي حققها مسار أستانا حتى الآن هي إنجازات لا يمكن إنكارها، ولكن مستوى الضرورات بات مرتفعاً للغاية في ظل الجوع والعوز المتفاقم، وفي ظل العمل الأمريكي الهادف إلى إعادة تخجير سورية من جديد، وأيضاً في ظل عجز البنية القائمة عن فعل أي شيء اتجاه سورية والشعب السوري سوى تعمييق الكارثة... لذلك كله فإن الخطوات العملية باتجاه تنفيذ كامل للقرار 2254، باتجاه امتلاك الشعب السوري لحق تقرير مصيره، هي ما يجب أن يراه السوريون، وقبل قوات الأوان!

شؤون نقاضية



### تحول الوعي والنفاؤل التاريخي..

22

شؤون عربية ودولية



### حرب أمريكية- صينية باردة؟

15

شؤون محلية



### عباد الشمس كاشف اقتصادي أيضاً

08

ملف «سورية 2020»



### مالهدف من الأكاذيب الصهيونية حول مستقبل سورية؟

06

# التغيير الجذري قانون لا رادّ لها!



طرح حزب الإرادة الشعبية «رؤيته» منذ أكثر من عقد من الزمن، ومنها: أن هناك فضاءً سياسياً جديداً يتكون، وفضاءً سياسياً قديماً يموت موتاً سريعاً.

## ■ عادل ياسين

هذا التنبؤ العلمي لم يأت من فراغ أو ترف سياسي، بل جاء نتيجة المعرفة الدقيقة والعلمية بتغير موازين القوى الدولية والإقليمية والمحلية، وهو ما يعني عودة الجماهير إلى أخذ زمام المبادرة في الدفاع عن حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي المقدمة منها: إعادة توزيع الثروة لصالح المنهوبين، وهذا يعني أيضاً انتهاء الدور الوظيفي لتلك الدول والقوى بالشكل التي كانت تمارسه تجاه الشعوب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، حتى بات هذا المصطلح «الرؤية» مصطلح «الفضاء السياسي الجديد والفضاء السياسي القديم» يدور حوله النقاش بين الأفراد، والقوى، والجماعات السياسية، بين متيقن من صحته وبين رافض له، وهذا يدل على عمق التحولات السياسية الجارية في العالم، وفي البلاد التي يعبر عنها بالحراك الشعبي والسياسي للقوى السياسية، والمجتمعية الناشئة والقديمة، إضافة إلى ذلك انتقال هذا النشاط إلى قطاعات واسعة من الشعب السوري المنتهكة حقوقه، وكانت مغيبة عن العمل السياسي الحقيقي بفعل انخفاض مستوى الحريات العامة في

التعبير والتنظيم. هذه ستعكس نفسها بالضرورة على مجمل الشعب السوري، أفراداً أم قوى سياسية، والحركة النقابية السورية سيصيبها نصيب مهم مما يجري، وهذا يتوضح من خلال الحوارات، والنقاشات، التي تتمحور حول موقع الحركة النقابية، ودورها القادم ومهامها في الصراع السياسي الاجتماعي، وحول مستقبل سورية، وكيف ستكون عليه، حيث سيكون لهذا الصراع بالضرورة مضمونه الطبقي، وهنا بيت القصيد، أي: أهمية إعادة ترتيب البيت النقابي والعمالي بما ينسجم مع ضراوة المعركة الطبقيّة السياسية التي ستفرض، خاصة أن القوى الليبرالية، وقوى الفساد الكبير قد أسست لهذه المعركة منذ زمن، مما سبب اختلالاً في موازين القوى لمصلحة قوى رأس المال المتحالفة مع قوى الفساد الكبير، داخل وخارج جهاز الدولة، وهي تعمل بتسارع على فرض برنامجها السياسي الاقتصادي، وكان جزء مهم من برنامجها، منع الطبقات الشعبية، ومنها: الطبقة العاملة السورية، من امتلاك أدواتها الضرورية في الدفاع عن مصالحها وحقوقها، المصادرة بفعل الممارسات والقوانين والتشريعات المعبرة عن مصلحة

## بصراحة

■ محمد عادل اللحام



## إعادة النظر بالأجور: قول للنقابات؟

في الأونة الأخيرة ومع اشتداد الضائقة المعيشية التي أصابت الكبير والمقبط بالسريير أصابت حمى التصريحات- والاقتراحات والمشاريع- المسؤولين وأصحاب العقد والربط، حيث لم نعد نستطيع إحصاء تصريحاتهم المبهرة، ولا مواقفهم المتبدلة مع كل دقيقة من الزمن، محاولين إقناعنا نحن أصحاب البطون الفارغة والجيوب الخاوية بأنهم يبذلون قصارى جهدهم من أجل إخراجنا مما نحن فيه، ولكن ما باليد حيلة، فالعقوبات تفعل فعلها، ولم يتعرضوا للنهب الذي يفعل فعله أيضاً، ويتحكم بدرجات كبيرة بمصيرنا كأفراد وعائلات، مثله مثل العقوبات بل أشد تأثيراً، لأن العقوبات يمكن مواجهتها إن كان هناك قرار بالمواجهة، بينما النهب هو متأصل وجزء لا يتجزأ من منظومة الفساد الكبير، والخاص منه أيضاً ممكن لو توفرت الأدوات الضرورية لاجتثاثه، ومنها: الحريات السياسية والديمقراطية التي تمكن الشعب المقهور من المواجهة والدفاع عن حقوقه جميعها، بما فيها ثروته التي ينهبها الفساد الكبير.

تقدم أحد المسؤولين باقتراح لرئاسة الوزراء من أجل تحسين الوضع المعيشي بأن يلغى ما تبقى من دعم تقدمه الحكومة، مع تقديم دعم مالي للأسر الفقيرة وزيادة أجور العمال، ومع إلغاء الضرائب على الأجور دون تبيان مصادر التمويل، ونحن بدورنا نشتم رائحة إلغاء الدعم، وظهرت طلائع الإلغاء للدعم مع رفع سعر السكر والأرز الموزع على البطاقة «الذكية» مع أن تأكيدات وزير المالية لم تنس بعد، بأن المواد الأساسية لن يصيبها ارتفاع الأسعار.

نقابات العمال، في آخر اجتماع لمكتبها التنفيذي، تقول بإعادة النظر بوضع الأجور، لأن الوضع المعيشي للعمال وصل إلى حالة سيئة، ولا بد للحكومة أن تعيد النظر بالأجور، ولكن أيضاً النقابات لم تقل لنا مصادر الدولة برفع الأجور، هل هي من نفس المصادر السابقة وبالطريقة نفسها بحيث لم يصل للعمال من الجمل أذنه، ولا ندري إن كان هذا القول قد أقع العمال بأن وضعهم المعيشي سيتحسن؟

الحكومة بكامل عددها تقول: إن أولوياتها هي تحسين الوضع المعيشي، بعد هذا القول قامت برفع سعر السكر والرز المقنن. أيها السادة أصحاب الحل والعقد: لن يكون هناك تحسن في حقوق الناس طالما أن قوى الفساد الكبير تعيث فساداً في مضايرنا، بل في البلاد كلها من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، مهددة بأن تصبح خراباً فوق خرابها بسبب النهب عالي المستوى لقت يومنا، ولحقنا بأن تكون لنا كرامة في وطننا، فالحل مركب، سياسي يقسمه الأكبر، وشعبي بفاعليته ونشاطه المكمل للحل السياسي، فإذا تحققت هذه المعادلة، فإن الفساد الكبير سيكون هباءً منثوراً.



إن التراكم الكمي في الأزمات الاجتماعية والسياسية سيؤدي إلى تحول نوعي في النشاط والعمل السياسي عند أغلبية المتضررين من الأزمة

## أسئلة أمام النقابي /2/



نتابع في هذا العدد ما قد بدأنا به في العدد السابق، حول مجموعة من الأسئلة التي على النقابيين المؤمنين بقضايا الطبقة العاملة أن تكون ألامهم، كي يستطيعوا من خلالها أن يعرفوا معرفة دقيقة أوضاع العمال في المنشأة، ووضع الطبقة العاملة بشكل عام.

### ■ نيلك عكام

#### في شؤون تنظيم العمل

- ما هي عدد ساعات العمل اليومية التي يقضيها العامل في المنشأة؟ وما هي أيام العمل خلال الأسبوع؟  
- ما هي عدد أيام العطل خلال العام؟

- كيف يتناول العمال الوجبات؟ هل خلال فترات ثابتة، أم بشكل غير منتظم، أم أثناء العمل؟ وأين يتم تناولها؟ خارج مكان العمل أو داخله، أم في مكان مخصص لذلك «مطعم»؟

- هل هناك عمل في الليل أو وديات؟

- هل توجد رياض للأطفال العاملات في منشأتك؟

- هل في منشأتك يعمل أطفال أعمارهم دون 17 عاماً؟

- هل لديهم ساعات عمل إضافية وما عددها؟

- هل يتم تطبيق قوانين العمل النافذة وخاصة التأمينات الاجتماعية؟ وهل يلتزم أرباب العمل بهذه القوانين بشكل كامل أو جزئي؟

- ما هو الوقت الذي يحتاجه الذهاب إلى العمل والعودة إلى المنزل؟

#### سياسة الأجور المطبقة و عقود العمل

- هل هناك عقود تربط العمال مع

- ما هي النتائج التي حصل عليها العمال من هذا الإضراب؟  
- هل أضربتكم في المنشأة أو المعمل من أجل مساندة عمال آخرين في منشآت أخرى؟

- هل توجد تحالفات بين أرباب العمل للحد من زيادة في الأجور، وزيادة في ساعات العمل، ومحاولة منع الإضرابات وفرض إرادتهم بوجه عام؟

- هل تعرف حالات قامت فيها الحكومة بإساءة استخدام قوات الشرطة أو غيرها ووضعها في خدمة أرباب العمل ضد العمال؟

- إن هذه الأسئلة وغيرها التي لا بد أن يضعها النقابي أمام عينيه، هي حصيلته خبرة نضال وتطور الحركة العمالية والحركة النقابية من خلال صراعها الطويل والمستمر من أجل نيل حقوقها وتحقق مصالحها، وخاصة حصتها من الثروة المنتجة.

مشمولين بمظلة التأمينات الاجتماعية، وهل اطلعت على قوانينها وإجراءاتها التنفيذية؟  
- هل تخضع الأموال المحصلة لهذه المؤسسة لمراقبة العمال؟

- ما هي الظروف العامة البدنية والفكرية والاجتماعية للعاملين في المنشأة؟

- هل قوانين العمل النافذة أو التي تصدرها الحكومة تصب في مصلحة العمال؟ وهل يقوم مفتشو العمل بواجباتهم اتجاه العمال؟

- هل تعرف حالات تدخلت فيها الحكومة لحماية العمال من مخالفات أرباب العمل وتحالفاتهم غير القانونية؟

- ما هو عدد الإضرابات التي حدثت في المنشأة التي تعمل فيها؟ وهل كانت عامة أم جزئية؟

- ما هي المدة التي استمرت فيها هذه الإضرابات من يوم العمل، وما هي أسباب الإضراب ودوافعها؟

الرجال؟

- ما هي النسب الضريبية التي تحسم من راتب العامل؟

- هل يحصل العمال على التعويض العائلي وما نسبته؟

- ما هي أسعار المواد والأشياء الضرورية التي يحتاجها العامل، مثل: السكن متطلباته المختلفة، من صيانة الأثاث، والتدفئة والكهرباء والماء والهاتف وأجرة السكن، وتكاليف الغذاء من خبز ولحوم وخضار وفواكه وما إلى ذلك، من بيض وسكر ورز وزيت، وشاي وقهوة.. إلخ، الملابس لأسرة العامل، ومواد التنظيف المختلفة من صابون وغسيل الملابس.. إلخ.

الرسوم المدرسية للأولاد، وشراء الصحف. والكتب، وما إلى ذلك

#### في شؤون الحقوق والتضامن العمالي:

هل جميع العمال في المنشأة

صاحب العمل، وهل هذه العقود فردية أم جماعية وما هذه العقود؟ وهل هناك شروط للحصول على إجازة؟

- عند الإخلال بالعقد، إذا كان صاحب العمل هو المخطئ، ما هي العقوبة المفروضة عليه؟ وعندما يكون العامل هو المخطئ ما هي عقوبته؟

- كيف تسدد الأجور للعمال بالشهر أم بالأسبوع، أم باليوم؟

- كيف تحسب التعويضات المختلفة من عمل إضافي وطبيعة عمل ومخاطر المهنة وغيرها؟

- هل يقوم رب العمل أو إدارته بالغش والاحتيال على العمال لشطف جزء من مستحقاتهم تحت ذرائع مختلفة؟

- ما هو متوسط الأجور في المنشأة وما هو أعلى أجر في المنشأة؟

- وهل أجور النساء متساوية مع

## الطبقة العاملة



#### إضراب عام في النفيضة

دخل يوم الجمعة 19 حزيران 2020، عمال النفيضة بولاية سوسة التونسية في إضراب عام بناءً على قرار الاتحاد المحلي للشغل بالنفيضة، وذلك نتيجة تردّي الأوضاع الاجتماعية والمهنية في عدد من المؤسسات في منطقة النفيضة، وأكد رئيس النقابة الأساسية للشركة التونسية للورق المقوى بالنفيضة وعضو الاتحاد المحلي للشغل: إن الإضراب العام تقرر على خلفية الظلم والتعسف الذي تمارسه المؤسسات الصناعية المنتجة بالنفيضة على عمالها، وأضاف: إن عدم استجابة المسؤولين مع السلطات المعنية والطرّد التعسفي الذي يمارس بحق العمال في النفيضة هو سبب الاحتقان وسبب إقرار الإضراب العام، ويطلب المحتجون أيضاً في النفيضة بعودة العمال المطرودين، هذا وكانت هناك جلسة مفاوضة عقدت مع الصناعيين، لكن المفاوضات مستمرة.



#### إضراب تحذيري

##### احتجاجاً على عدم قبض مستحقاتهم

أعلن عمال شركة «لافاجيت» عن تنفيذ إضراب تحذيري، وعدم رفع النفايات في مدن الفيحاء، وطرابلس، والميناء، والبدواي، والقلمون اللبنانية، اعتباراً من يوم الأربعاء وحتى مساء الخميس من الشهر الجاري، بسبب عدم حصول الشركة على المستحقات الواجبة لها، حيث لم تتمكن الشركة، وعلى رغم مناشداتها الحثيثة لوزارة المال، من قبض مستحقات لها منذ قرابة 9 أشهر، الأمر الذي انعكس سلباً على أوضاعها كافة، سواء لجهة عدم حصول العمال والموظفين على رواتبهم وأجورهم في وقتها، وعدم توفير مستلزمات الشركة، وقالت الشركة في بيان لها اليوم: إضراب تحذيري، وإن لم يستجب لمطالبنا فالأمر سير نحو التوقف التام عن العمل حتى قبض المستحقات».



#### إضراب عمال أمازون في ألمانيا

نفذ عمال المستودعات بشرية أمازون في ألمانيا إضراباً عن العمل بعد إصابة عدد من العاملين في العديد من المراكز بفيروس كورونا. حيث قامت هذه الإضرابات في ستة من مستودعات لشركة أمازون في جميع أنحاء البلاد يومي الاثنين والثلاثاء. ومن جانبه قال اتحاد العمال الألماني في بيان له: إن أمازون تعرض حياة عمال المستودعات للخطر، مضيفاً: «لم تظهر أمازون حتى الآن أية رؤية، وهي تعرض صحة العاملين للخطر من أجل أرباح الشركات». وقالت النقابة العمالية: إن التفشي الذي حدث مؤخراً في مستودع في «باد هيرسفيلد» أصاب ما لا يقل عن 30 إلى 40 عاملاً في أمازون بالفيروس.



#### إضراب العمال في المهبولة

أعلنت مجموعة من العمال عن تنفيذهم إضراباً في 24 حزيران الجاري في منطقة المهبولة الكويتية، وذلك لعدم استلامهم رواتبهم لأكثر من ثلاثة أشهر. من جانبها أوضحت الهيئة العامة للقوى العاملة في الكويت: بأنها فور تبليغها بالإضراب توجه فريق العمل التابع لقطاع حماية القوى العاملة في الهيئة إلى موقع الإضراب للنظر في شكوى أكثر من 150 عاملاً، واتخاذ ما يلزم من إجراءات قانونية، حيث أفادوا بعدم تسلم رواتب شهر آذار ونيسان وأيار لعام 2020. حيث قام الفريق باستدعاء صاحب العمل، الذي حمل المسؤولية للشريك الأجنبي، وقال إن الشريك الأجنبي مقر بمسؤولياته بكافة الأمور المالية والإدارية والقانونية والمستحقات العمالية لجميع العمال المسجلين على العقد وتصفية حقوقهم العمالية.

# مؤشر المسح العالمي لحقوق العمال



بنجلاديش والبرازيل وكولومبيا ومصر وهندوراس والهند وكازاخستان والفلبين وتركيا وزيمبابوي. يصنف الإصدار السابع من مؤشر الاتحاد العالمي للنقابات، الذي يشمل معطيات عن حقوق العمال في 144 دولة حسب درجة احترام حقوق العمال. تشمل النتائج الرئيسية ما يلي:

في 85 المئة من البلدان انتهكت حق الإضراب. انتهكت 80 في المئة من البلدان الحق في المساواة الجماعية. ازداد عدد البلدان التي أعاققت تسجيل النقابات. دخلت ثلاث دول جديدة في قائمة الدول العشر الأسوأ بالنسبة للعمال (مصر وهندوراس والهند).

ارتفع عدد الدول التي رفضت أو قيدت حرية التعبير من 54 في 2019 إلى 56 في 2020. تعرض العمال للعنف في 51 دولة. لم يكن للعمال أو مقيدي الوصول إلى العدالة في 72 في المئة من البلدان. تعرض العمال لاعتقالات واحتجاز تعسفي في 61 دولة.

العقد الاجتماعي بين الحكومات وأصحاب العمل مع العاملين. هناك اتجاه لتقييد حقوق العمل من خلال انتهاكات للمفاوضة الجماعية، وحجب الحق في الإضراب واستبعاد العمال من النقابات.

لكن مؤشر الحقوق ليس مجرد قائمة من الانتهاكات. إنها صورة صارخة للعجز في الحقوق الذي نحتاج إلى معالجته بينما نبني النموذج الاقتصادي الجديد الذي يحتاجه العالم أثناء تعافيه من جائحة Covid-19.

يجب أن يكون اقتصاداً عالمياً مبنياً على عقد اجتماعي جديد: التزام جديد بحقوق العمال، وتجديد الاستثمار في الامتثال وسيادة القانون، وأساس الديمقراطية في مكان العمل.

تعد منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أسوأ منطقة في العالم بالنسبة للعمال والتعامل مع حقوقهم، منذ سبع سنوات متتالية، بسبب استمرار انعدام الأمن والصراع في فلسطين وسورية واليمن وليبيا، إلى جانب المنطقة الأكثر تراجعاً لتمثيل العمال واتحادهم. حقوق أسوأ عشر دول للعاملين في 2020 هي:

**يكشف مؤشر الحقوق العالمية عن انهيار في العقد الاجتماعي بين الحكومات وأصحاب العمل مع العاملين**

تشير البيانات والإحصاءات الصادرة عن المراكز العمالية وغيرها من المراكز على تصاعد حدة الانتهاكات بحق الطبقة العاملة، بما فيها حقهم بالعمل، حيث تشير تلك البيانات إلى تزايد أعداد العاطلين عن العمل أو طالبي المساعدات نتيجة إيقافهم عن العمل بسبب جائحة كورونا، وتقدر تلك الأعداد سواء في أمريكا أو في الدول الأوروبية أو في الدول الأخرى بمئات الألوف وهذا يظهر من حجم المشاركة العمالية في المظاهرات والاحتجاجات على أوضاعهم التي وصلتهم إليها آلة النهب الإمبريالية التي تعمقت في ظل أزمتها المستعصية والعميقة، حيث يدفع العمال وعموم الفقراء الضريبة الكبرى نتيجة النهب العلي لحقوقهم.

## محرر الشؤون العمالية

ومما جاء في البيان الصادر عن الاتحاد الدولي للنقابات يوم 2020/6/18: بينما نتطلع إلى التعافي وبناء اقتصادات مرنة، فإن مؤشر 2020 للحقوق العالمية الصادر عن الاتحاد الدولي للنقابات هو معيار سنخضع الحكومات وأرباب العمل للمساءلة تجاهه. إذا لم تكن نتائج مؤشر الحقوق صادمة بما يكفي، فنحن نشهد بالفعل أن بعض البلدان تأخذ الأمور أكثر حدة تحت غطاء إجراءات معالجة جائحة الفيروس التاجي، فإنهم يطورون أجنداتهم ضد حقوق العمال. يجب أن يتوقف هذا ويتراجع.

يكشف مؤشر الحقوق العالمية عن انهيار في

الأرقام المنشورة في المسح المقدم من اتحاد النقابات العالمي يؤشر إلى ما وصلت إليه الطبقة العاملة من أوضاع معيشية وانتهاك لحقوقها الديمقراطية، والرد الطبيعي من قبل العمال وتنظيماتهم هو المواجهة والصراع مع آلة النهب إلى أن تتحقق الأهداف باجتثاث هذا النظام الإمبريالي المتوحش.

مؤشر المسح العالمي لحقوق العمال الصادر عن الاتحاد العالمي للنقابات للعام 2020. يشير إلى أعلى ارتفاع في انتهاكات حقوق العمال منذ سبع سنوات.



توجد بالفعل فجوة في الأجور. وهذا يوحي بضرورة مكافحة القوالب النمطية والتمييز في مرحلة الدخول إلى سوق العمل.

للاوجبات الأسرية بين الرجل والمرأة سيؤدي في كثير من الأحوال إلى اتخاذ المرأة اختيارات مهنية مختلفة. ومما يثير الدهشة، أن الأدلة تبين أنه حتى قبل أن تصل المرأة إلى مرحلة الأمومة،

## منظمة العمل الدولية: الأجور بأدنى مستوياتها

التي يغلب على قوتها العاملة الطابع النسائي. وللمحد من الفجوات في الأجور بين الجنسين، يلزم بالتالي زيادة التركيز على ضمان المساواة في الأجر بين المرأة والرجل، وعلى التصدي لبخس قيمة عمل المرأة.

من العوامل الأخرى التي توسع فجوة الأجور بين الجنسين هي الأمومة، إذ يبين التقرير أن أجور الأمهات تميل إلى أن تكون أدنى من أجور غير الأمهات. وقد يكون ذلك مرتبطاً بمجموعة عوامل، منها: التوقف عن العمل، وانخفاض وقت العمل، والعمل في وظائف أكثر ملاءمة للأسرة وذات أجور متدنية، وقرارات الترقية النمطية في المؤسسات.

ووفقاً للتقرير، فإن التقاسم المنصف

### تقرير المدير العام لمنظمة العمل الدولية

باستخدام أدلة تجريبية، يبين التقرير أيضاً أن للتفسيرات التقليدية، مثل: الاختلافات في مستويات التعليم بين الرجل والمرأة - في وظائف مأجورة - دور محدود في تفسير فجوات الأجور بين الجنسين.

وقالت روزاليا فازكيز - الفاريز عالمة الاقتصاد الإحصائي وأخصائية الأجور في منظمة العمل الدولية وإحدى واضعي التقرير: «إن مستوى التحصيل العلمي للمرأة في بلدان كثيرة أعلى منه للرجل، بيد أنها تتقاضى أجوراً أدنى حتى عندما تعمل في الفئات المهنية نفسها. كما أن أجور الرجل والمرأة أقل في المؤسسات والمهن

إن فجوة الأجور بين الجنسين في البلدان مرتفعة الدخل تكون أكبر في النهاية العليا لجدول الأجور، أما في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل فهي أكبر ما تكون في صفوف العمال الأقل أجراً.

# الرأسمالية = العنصرية



وعلى هذا، فالعنصرية جزء مركزي في ترسانة الأسلحة التي تواجه بها الرأسمالية عدوها الأساس، الطبقة العاملة، وعلى هذا الأساس أكد كارل ماركس أنه «إذا كانت النقود تجيء إلى الدنيا وعلى خدها لخرة دم بالولادة، فإن رأس المال يولد وهو يقطر دماً وقذارة، من جميع مسامه، من رأسه وحتى أخمص قدميه» وكان يشير في ذلك إلى ربع تجارة الرقيق التي أرست الأسس المتينة للمنظومة الرأسمالية.

ومع أن العبودية قد انتهت، رسمياً، في الكثير من بقاع العالم، إلا أن أدواتها لم تنته، ومنها: استخدام ورقة التناقضات الثانوية المذكورة آنفاً، وفي المقابل، ومع تصاعد الحراك الشعبي الأمريكي، يبدي الجبل المشارك في حركة الإضرابات تصميماً مثيراً للانتباه على بناء عالم جديد، وعلى المضي خطوات نحو الأمام في البحث عن بديل للمنظومة الرأسمالية التي أثنخت في جراح المواطنين الأمريكيين، وعلى هذه الأرضية، ليس من المستغرب تنامي خطاب «انتزاع الثروة والسلطة من أيدي النخبة الرأسمالية الصغيرة» في صفوف هذا الحراك، وكذلك المطالبات بتأميم الشركات الكبرى والمصارف التي تهيمن على الاقتصاد والتعليم المجاني والسكن اللائق والأجر العادل، هذا الخطاب الذي يركز على توضيح طبيعة الصراع بوصفه صراعاً طبقياً كلما حاولت المنظومة إضفاء طابع مغاير لهذه الحقيقة.

قد لا ينجز الحراك الشعبي الأمريكي مطالبه كلها دفعة واحدة، وهذا طبيعي، لكنه في موجهته الحالية أثبت أنه قادر على تهديد الأساسات المتينة للمنظومة الأمريكية الأخذة بالتراجع على نحو متسارع.

عملهم فحسب، بل وكذلك في لون بشرتهم، حيث تشمل القائمة أثرياء من ذوي البشرة السمراء الذين هم جزء من النخبة الحاكمة فاحشة الثراء، التي ترتبط مصالحها بالكامل بنظام رأسمالي عنصري في طبيعته.

## العنصرية جزء مكون من الرأسمالية

يعمل اليوم ملايين الأمريكيين في المكاتب والمدارس والمصانع والمستشفيات ونظام النقل، ودونهم تنهار المنظومة بأكملها. وهذا بالضبط سبب الارتباك الذي سببته حركة الإضرابات مؤخراً بالنسبة لكبار الأثرياء، حيث تنمو في صفوف الأمريكيين هذه النزعة، وبات الحديث عن أن المهمة الأولى للحراك الشعبي تتعين في نقل حركة الاحتجاجات - من الشوارع إلى أماكن العمل - حديثاً متكرراً بين العمال الأمريكيين الذين عاشوا عقوداً طويلة في ظل منظومة فرضت عليهم عدم وجود أحزاب ومنظمات عمالية فاعلة وجذرية. كما هو الحديث عن أن هذه المنظومة تستخدم العنصرية للإبقاء على انقسام الطبقة العاملة وطحنها.

النخبة الرأسمالية هي أقلية صغيرة، ومن أجل الحفاظ على مكاسبها، وعلى ما تبقى من ارتباط لقاعدتها معها، تعتمد السياسة القديمة المعروفة باسم «فرق تسد»، هذه السياسة التي تشجع مختلف الثنائيات الوهمية التي تركز على التباينات غير الأساسية في المجتمع؛ فمن أجل تمويه التناقض الأساس بين رأس المال والعمل المأجور، يجري تعميم مختلف التناقضات الثانوية، ومن بينها ضمناً التناقض الثانوي بين مواطن «أبيض» وآخر «أسود».

تواجه الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أكبر موجة عارمة من الاحتجاجات ضد العنصرية، منذ ما عرف باسم «حركة الحقوق المدنية» في الستينات من العقد الماضي، وهي الحركة التي استنتج قادتها الأكثر جذرية، أمثال: مالكولم إكس، أنه «لا يمكن أن تكون لدينا رأسمالية دون عنصرية... وهذا يعني النضال من أجل الاشتراكية».

**ييدي الجيك المشارك في حركة الإضرابات تصميماً مثيراً للانتباه على بناء عالم جديد وعلى المضي خطوات نحو الأمام في البحث عن بديل للمنظومة الرأسمالية التي أثنخت في جراح المواطنين الأمريكيين**

التضامن يسقط عند أول امتحان تتعرض فيه مصالح هؤلاء للخطر. وهم يستشعرون هذا الخطر في بواكر توسع مناطق الاحتجاجات داخل الولايات المتحدة من الحدود الضيقة لقضية التمييز العنصري إلى مجال أوسع يتعلق بالمسائل الاقتصادية الاجتماعية ونمط توزيع الثروة، بالتوازي مع تصاعد مستوى تنظيم الطبقة العاملة وحركة الإضرابات التي لم تقف عند حدود الموائم الغربية، بل أخذت تطل اليوم تلك الشركات التي اعتبرت حتى وقت قريب «شركات الطم» بالنسبة لشريحة واسعة من الشباب، مثل: شركة «تسلا» والعديد من شركات الطيران.

وما يذب الرعب في قلوب الأقلية فاحشة الثراء في الولايات المتحدة، أن خطاب الحركة الشعبية يتخذ منحى أكثر جذرية، مؤكداً أن الرأسمالية نظام أممي محمول على دافع وحيد، وهو تعظيم أرباح هذه الأقلية على حساب الاستغلال الرهيب الذي تتعرض له الأثرية الساحقة من المواطنين. وفي هذا الصدد، من الملاحظ مثلاً: أن العديد من المتظاهرين في الولايات المتحدة يرفعون اليوم قائمة أغنى 85 شخصاً على وجه الأرض «والذين تزيد ثروتهم عن أكثر من 50% من السكان الأكثر فقراً في العالم» للإشارة إلى أن هؤلاء القلة متنوعون لا من حيث جنسياتهم ولغاتهم ونطاقات

## إعداد سعد خطار

الاستنتاج ذاته كان قد توصل إليه عدد آخر من قادة الحركة على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين، من خلال تجربتهم وممارستهم على الأرض، ومنهم: فريد هامبتون الذي نادى في أحد خطاباته المشهورة: «إننا لن نحارب العنصرية بالعنصرية، بل سنحاربها بالتضامن، كما لن نحارب الرأسمالية كتفاً إلى كتف مع الرأسماليين أصحاب البشرة السمراء، بل سنحاربها بالاشتراكية».

## التصويب نحو الأهداف الأكثر جذرية

بالرغم من كل الأبهة التي أحاطت بها الرأسمالية نفسها، مدعية انتصارها لقيم المساواة وعدم التفرقة بين الناس، يلحظ الجمهور شيئاً فشيئاً زيف هذه القشرة الخارجية للرأسمالية، ويلحظ كذلك أن وصول رئيس «أسود» إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية لا يعني أن الطبيعة العنصرية الكامنة في جوهر الرأسمالية قد زالت.

نعم، يمكنك اليوم أن ترى كبار رؤوس الأموال المتهمين بقضايا عدة تمس أبسط حقوق الإنسان، يعلنون تضامنهم مع الحراك الشعبي في الولايات المتحدة، لكن هذا

# ما هو الهدف من الأكاذيب الصهيونية حول مستقبل سورية؟



خلال الأشهر القليلة الماضية، والشهر الأخير بشكل خاص، جرى إغراق الفضاء الإلكتروني والإعلامي بكم هائل من التصريحات والمقالات التي تتحدث عن مواعيد وأجال وآليات محددة لعملية التغيير في سورية.

■ راند سعيد

الملفت للنظر، والمثير للاهتمام، هو الدخول الصهيوني المباشر على خط صناعة الأخبار التفصيلية الخاصة بسورية، سواء جاء ذلك عبر المدعو إيدي كوهين أو أشباهه أو عبر بعض النكرات من عملاء الصهاينة ذوي الأصول السورية.

## موجة غربية واحدة

أول ما ينبغي أن يقف عنده المرء في الأخبار صهيونية المنشأ، أنها ليست معزولة عن الموجة العامة الغربية التي يساهم في قيادتها المبعوث الأمريكي جيمس جيفري عبر تصريحاته الكثيفة، وكذلك الصحافة البريطانية، يمكننا أن نتذكر موجة المقالات والتصريحات التي استندت ظاهرياً إلى بعض المقالات الانتقادية للنظام السوري في الصحافة الروسية، وحاولت توظيفها في اتجاه مضاد تماماً، حيث سعى الغرب وبالتكافل والتضامن مع المتشددين في طرفي الأزمة السورية، إلى استخدام مسألة الشخصية دائماً وأبداً لمنع عملية التغيير ولمنع حل الأزمة السورية ولتعميقها وتعميق الاستنزاف وصولاً إلى الخراب الشامل «المأمول».

## فحوى الأكاذيب

تتمحور الأكاذيب الصهيونية والأمريكية والبريطانية حول الفكرة التالية: «هناك اتفاق سري بين روسيا والولايات المتحدة و«إسرائيل» يتضمن النقاط التالية: 1- قلب النظام في سورية وفرض نظام بديل عبر مجلس عسكري أو ما شابه. 2- إخراج إيران من سورية. 3- تحويل سورية إلى بلد فيدرالي مقسم لعدة أقاليم يحكم كل منها حكومة خاصة ويكون النظام العام برلمانياً والمركز ضعيفاً».

## مزيد من الأكاذيب

لكي تصبح هذه الأكاذيب قابلة للتصديق، يجري دعمها بالمزيد والمزيد من الأكاذيب؛ على المبدأ النازي الشهير، مبدأ غوبلز وزير البروباغندا النازية: «كذبوا ثم كذبوا ثم كذبوا فلا بد أن يعلق شيء في الأذهان». الأكاذيب الإضافية تبحث عن أي تفصيل أو لقاء أو إجراء وتعمل على تبهيره وتضخيمه وتحريفه بحيث يدخل ضمن الرواية الكاذبة نفسها. من ذلك مثلاً: المبالغات والاستنتاجات والتحليلات العجائبية التي ركزت الضوء على لقاءات معينة أجراها الطرف الروسي مع بعض الأطراف والشخصيات السورية، علماً أنها لم تكن أكثر من لقاءات هامشية ضمن كم هائل من اللقاءات التي أجراها الروس ضمن الفترة نفسها.

لكن ذلك كله لا يكفي وحده؛ إذ يجب وضع الأمور جميعها على أساس ما «منطقي»،

حتى ولو كان منطقاً سخيفاً، ولكن لا بد من «منطق» ما. وعليه، يجري وضع الرواية بأكملها على أساس الفكرة التالية: الروس يحاولون التخلص من الورطة السورية، وخاصة في ظل قانون قيصر، ولذلك فهم مضطرون لتقديم تنازلات للأمريكي والصهيوني على حساب حلفائهم الآخرين، وخاصة ضمن ثلاثي أستانا.

## نظرة أوسع

الانغماس في نقاش مدى صلاحية الأكاذيب المشار إليها، هو جزء من اللعبة نفسها، وهو كما يقال: غرق في كأس ماء. ولذا فإن أفضل الطرق لفهم معانيها وأهدافها هو توسيع زاوية النظر عودة إلى فهم جوهر الصراعات الدولية والإقليمية الجارية، ومن ثم معاينة الوضعية السورية في سياقها، وليس ضمن سياق وهمي وافتراضي.

## واشنطن- لندن- تل أبيب

علينا أن نتذكر دائماً تصريح جيفري (12 أيار في ندوة مع معهد هيدسون)، والذي قال فيه: «إن تواجده العسكري (في سورية)، رغم صغره، مهم لهذه العملية الحسابية الكلية. لذا نحث الكونغرس والشعب الأمريكي والرئيس على إبقاء هذه القوات قائمة. ولكن مرة أخرى، هذه ليست أفغانستان. هذه ليست فيتنام. هذه ليست مستنقفاً. وظيفتي هي جعلها مستنقفاً للروس».

هذا التصريح بعيد التأكيد على جوهر السياسة الأمريكية في المنطقة: الفوضى الخلاقة. ويمكن أيضاً التذكير بموقف الولايات المتحدة من النصرة، في تصريح آخر لجيفري نفسه أشار فيه وضوحاً إلى إمكانية رفعها من قوائم الإرهاب. أهم من التصريحات، السلوك العملي للولايات المتحدة، والذي كان دائماً وأبداً موجهاً نحو تعقيد الأزمة السورية، وتكريس حالة التقسيم، ومن ذلك ما تفعله من إجرام اقتصادي عبر العقوبات عموماً وقيصر خصوصاً. أهم من التصريحات والسلوك العملي، فهم

نمط الفيدرالية والدولة الضعيفة على النمط العراقي واللبناني. الثاني: مصلحته هي الخراب، ولذا ينبغي منع التغيير ومنع تنفيذ القرار بأي شكل من الأشكال، والدفع نحو النماذج العراقية واللبنانية واليوغسلافية وغيرها من النماذج الغربية المدمرة.

## ما هو هدف الأكاذيب؟

يمكننا تلخيص أهداف الأكاذيب الصهيونية بما يلي:

الإيحاء بالكاذب بأن روسيا تعمل ضد إيران، الأمر الذي من شأنه أن يثير الشقاق والفتنة، ويعقد عملية الحل السياسي ويؤخرها، أو يمنعها كما يتمنى الصهيوني.

الإيحاء بالكاذب بأن روسيا تقدم على «خيانة» الشعب السوري، وهو الأمر الذي يفيد المتشددين في النظام والمعارضة، ويساعدهم في الاصطفاف إلى جانب الأمريكي ضد الحل، سواء أعلنوا ذلك أم لم يعلنوه.

ضمن السيناريو «الأسوأ» من وجهة النظر الأمريكية الصهيونية، والأفضل من وجهة نظر المصلحة الوطنية السورية، أي: ضمن سيناريو تطبيق القرار وحل الأزمة، ارتفاع احتمالات هذا السيناريو إلى حدود غير مسبوقة هو بالذات ما يدفع لتوليد الأكاذيب التي نتحدث عنها؛ فإن الصهيوني والأمريكي، وعبر كم الأكاذيب الهائل، سيحاول أن يقلل من المفاعيل الكبيرة لهزيمته في سورية، عبر الإيحاء بأنه متحكم أساساً بما يجري وسيجري. ذلك أنهما يعلمان علم اليقين، ولأن سورية تحولت إلى الجؤرة الأكثر أساسية ضمن الصراع الدولي، أن لحظة التطبيق الكامل للقرار 2254، هي بالمعنى التاريخي، لحظة مطابقة للتثبيت النهائي لميزان القوى الدولي الجديد، الذي يقضي نهائياً على الأحادية القطبية، وعلى السطوة التاريخية الغربية عبر خمسة قرون مضت. وميزان القوى الجديد لن يقف عند حل المسألة السورية، بل سيتحول حلها إلى قاعدة أولى للانطلاق نحو تغييرات كبرى على المستوى العالمي بأسره.

المشروع الكبير لكل من الولايات المتحدة من جهة، وروسيا والصين من الجهة المقابلة. في الوقت الذي وضحت الإستراتيجية الدفاعية الأمريكية 2018 أن أولويتها الأولى هي التنافس مع الصين وروسيا وليس محاربة الإرهاب، فإن أولوية روسيا والصين بوصفهما اقتصاديين صاعدين هي إرساء الاستقرار في جوارهما القريب، وسورية جزء من هذا الجوار شديد القرب. لأن الاستقرار هو الشرط الضروري لتحويل المشاريع الأوراسية والحزام والطريق وغيرها من مشاريع عملاقة إلى إمكانية واقعية. على العكس من ذلك، فإن تأخير صعود روسيا والصين يتطلب بالضرورة إبقاء حالة الصراع والفوضى إلى أطول مدى ممكن. ولا يغيب عن بال أي متابع حصيف للأوضاع العالمية أن منطقتنا بالذات، وسورية خصوصاً، باتت فتياً مشتتة لاستمرار أزمات المنطقة بأسرها.

أخطر من ذلك، أنها في حال استمرت ضمن الوضع نفسه، مع تشديد العقوبات الأمريكية وتشديد عمليات التخريب، فإنها ستتحوّل بالتأكيد إلى صاعق تفجير بعيد إحياء الحرب بمقاييس أكبر وأشد ضخامة. ولهذا كله، يمكننا القول، وبغض النظر عن أي تصريح أمريكي أو بريطاني أو صهيوني: إن أفضل الأوضاع بالنسبة لهؤلاء هي تثبيت الوضع على ما هو عليه، أي: إدامة الاستنزاف وفتح احتمالات تفجير أوسع، وبالتأكيد منع الحل عبر منع التغيير عبر منع تنفيذ القرار 2254 كاملاً... وليس مستغرباً في هذا السياق أن وزير الخارجية الروسي قد صرح بشكل واضح على هامش لقائه مع وفد ليبي في موسكو، بأن المطلوب هو التطبيق الكامل للقرار 2254.

بكلاد آخر، فإن المشروعين الروسي الصيني من جهة، والأمريكي الصهيوني من الجهة الأخرى، متضادان بالكامل في سورية. الأول: مصلحته العليا هي الاستقرار، ولا استقرار دون تنفيذ كامل لـ 2254، ولا استقرار ضمن النماذج التي يطرحها الغربيون من

إنّ المشروعين الروسي الصيني من جهة والأمريكي الصهيوني من الجهة الأخرى متضادان بالكامل في سورية

# تعثر مخططات ضم الضفة إشارة أولى حول فشل «الصفقة»



عقدت حركتنا حماس وفتح يوم الخميس الفائت، 2 تموز، مؤتمراً صحفياً مشتركاً، أعلننا فيه عن اتفاقهما على خطة مشتركة لمواجهة المساعي الصهيونية لضم الضفة الغربية إلى دولة الكيان المحتل.

## ■ سعد صائب

الخطوة بحد ذاتها، تبعث برسالة مهمة حول حجم العقبات الكبرى التي سيواجهها الكيان في محاولاته تنفيذ ما يسميه «صفقة القرن»، والتي تعد محاولات ضم الضفة الغربية جزءاً منها.

## حسابات معقدة

قبل الحديث عن الاقتراب من إعادة مركز ضوء النقاشات الفلسطينية الداخلية إلى حيث يجب أن يكون، أي: إلى كيفية العمل المشترك ضد المحتل، فإن من المفيد الإشارة إلى أن «الصفقة» نفسها لا تزال محل جدل كبير في الأوساط المؤيدة لـ«إسرائيل» في الغرب عموماً وفي الولايات المتحدة وبريطانيا بشكل خاص، وحتى بين المستوطنين أنفسهم. جيمي كارتر، الرئيس الأمريكي الأسبق، أصدر بياناً حول الموضوع قبل أيام، قال فيه: «الضم المتوقع سيكون بمثابة مصادرة ضخمة وغير قانونية للأراضي الفلسطينية». وأضاف: «يجب وقف الضم، وعودة «الإسرائيليين» والفلسطينيين إلى مفاوضات هادئة على أساس قرارات الأمم المتحدة والاتفاقيات الثنائية السابقة».

كما استنكر توسع «إسرائيل» المستمر منذ عقود في المستوطنات بالضفة الغربية، مشيراً إلى أنها تعرض للخطر «أية إقامة محتملة لدولة فلسطينية ذات سيادة، وتنتهي حل الدولتين المتفق عليه دولياً، ومعه إمكانية إيجاد حل عادل للصراع». من البدهي أن كارتر لم يتحول في ليلة وضحاها إلى «ناصر للقضية الفلسطينية».

كل ما في الأمر أنه يتوجس من خطورة هذه الصفقة نفسها، وضمناً خطوات الضم، على مستقبل كيان الاحتلال نفسه ضمن المنطقة. كارتر ليس الوحيد في رأيه الضمني هذا، هناك من أعلن فعلياً عن تخوفاته على مصير «إسرائيل»، في حال استمر الإصرار على المضي في تنفيذ «الصفقة» ذات اليد الواحدة؛ مراكز أبحاث عديدة تابعة للعدو، وكذلك مقالات عديدة في صحف بريطانية خصوصاً، أدانت محاولات ضم الضفة الغربية، وفسرت ذلك بأن عمليات الضم ستؤدي بالضرورة إلى إنهاء الخلافات الفلسطينية الداخلية، أو تأجيلها على الأقل، بل وستدفع نحو توحيد الصف الفلسطيني بالاتجاه المقاوم. أخطر من ذلك، من وجهة نظر الحريصين على «إسرائيل»، هو أن عملية الضم ستؤدي إلى إنهاء عملي فعلي، وليس بالقول فقط، لكل أشكال التنسيق الأمني مع العدو. ولعل الخطر الأكبر من وجهة النظر نفسها، هو فقدان الولايات المتحدة بشكل نهائي لدورها ضمن «عملية السلام»، لمصلحة الرباعية، وبشكل خاص لمصلحة الدور الروسي الذي بات من الواضح أنه يزداد نشاطاً وفعالية على خط القضية الفلسطينية بشكل متواتر.

## توحيد الصف الداخلي

من «فوائد» صفقة القرن، أنها وضعت الفصائل الفلسطينية أمام استحقاق من الطراز الوطني الخالص، ولم يعد مجدياً بالنسبة لها، أية محاولات لتفادي موجبات ومستلزمات هذا الاستحقاق، وعلى رأسها العمل على وحدة الصف الفلسطيني، وتتحية عوامل الشقاق. وإذا كان هذا لا يعني بطبيعة

الحال أن السلبات التي تراكت عبر عقود ضمن عمل الفصائل الفلسطينية ستزول بسحر ساحر وبيوم وليلة، إلا أن المؤتمر الصحفي الذي أشرنا إليه هو مجرد إشارة أولى تحتاج إلى استكمال على مستوى كل الفصائل الفلسطينية، وتحتاج بالضرورة إلى إعطاء الوزن الحقيقي لحركة الأسرى الفلسطينيين، التي أثبتت بمواقفها العديدة، ناهيك عن صمودها وبطولاتها، أنها الأقرب إلى تمثيل الضمير الحي للشعب الفلسطيني في الداخل وفي الشتات. توحيد الصف الداخلي، لا يعني إصاق الفصائل الموجودة بعضها ببعض كما لا يعني فقط الوصول إلى توافقات أولية فيما بينها، بل يعني الوصول إلى آليات عمل ملموسة تنعكس في الهياكل والمؤسسات، وكذلك في طريقة تعاطي الفصائل مع الاضطرابات على الساحة الدولية بشكل أكثر حسماً ووضوحاً، وبعيداً عن أوهام التسويات عبر الأمريكي.

الحال أن السلبات التي تراكت عبر عقود ضمن عمل الفصائل الفلسطينية ستزول بسحر ساحر وبيوم وليلة، إلا أن المؤتمر الصحفي الذي أشرنا إليه هو مجرد إشارة أولى تحتاج إلى استكمال على مستوى كل الفصائل الفلسطينية، وتحتاج بالضرورة إلى إعطاء الوزن الحقيقي لحركة الأسرى الفلسطينيين، التي أثبتت بمواقفها العديدة، ناهيك عن صمودها وبطولاتها، أنها الأقرب إلى تمثيل الضمير الحي للشعب الفلسطيني في الداخل وفي الشتات. توحيد الصف الداخلي، لا يعني إصاق الفصائل الموجودة بعضها ببعض كما لا يعني فقط الوصول إلى توافقات أولية فيما بينها، بل يعني الوصول إلى آليات عمل ملموسة تنعكس في الهياكل والمؤسسات، وكذلك في طريقة تعاطي الفصائل مع الاضطرابات على الساحة الدولية بشكل أكثر حسماً ووضوحاً، وبعيداً عن أوهام التسويات عبر الأمريكي.

## الانقسام الداخلي «الإسرائيلي»

في الوقت نفسه الذي تدفع به إجراءات الكيان - وسعيه نحو الضم - الصف الفلسطيني نحو التقارب، فإنها تعمق الشرخ الداخلي ضمن صفوف القوى والتيارات السياسية الصهيونية. وإذا كان الحديث عن «يسار» و«يمين» بين القوى السياسية «الإسرائيلية»، حديثاً بلا قيمة عملية، فإن الانقسام الواضح اليوم هو حول الموقف من صفقة القرن بما تحمله من احتمالات خطيرة على استمرار وجود الكيان بأسره.

الحديث حول هذه «الخطورة»، وحول مستقبل الكيان ككل، ليس ضرباً من المبالغة، وليس حتى تقييماً فردياً يطرحه كاتب هذا المقال، بل هو أيضاً ما تقوله مراكز أبحاث العدو، وصولاً إلى استنتاجات وتوصيات كتلك التي ظهرت مثلاً في بعض مقالات

## أوسلو

من النتائج التي تتحدث عنها مراكز الأبحاث، نقض أوسلو. من المفهوم أن الصفقة نفسها هي نفس لأوسلو، ولكل القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية، وليست هذه المشكلة بالنسبة للصهاينة. تتلخص المشكلة في أن عملية نفس أوسلو التي يخوفون منها، ستكون نفساً لأوسلو لا يتزامن مع تنفيذ للصفقة، وبكلمة موجزة، نفس أوسلو للعودة إلى ما قبلها، أي: إلى مرحلة الكفاح المسلح بعيداً عن مفاوضات سلام يراها الخصم والحكم.

نفس أوسلو، وبداية التقارب ضمن الصف الوطني الفلسطيني، يعني بالضبط فتح باب الجحيم على مستقبل الكيان الصهيوني... وهذا هو ما يربح قسماً غير قليل من مناصري الصهيونية، في صفقة القرن وصولاً إلى استخدام الشتائم في تقييم سلوك نتنياهو وترامب. من ذلك ما قاله الرئيس السابق للكنيسيت «الإسرائيلي» أبراهام بورغ يوم الرابع من الجاري: «ترامب ونتنياهو يمتلكهما جنون النرجسية، وعديما الضمير والأخلاق، وهما مستعدان للانقلاب على أي شخص فقط لإنقاذ نفسيهما، والحفاظ على السلطة».



# التجارة برغيف الخبز التمويني والسياحي أيضاً!



التجارة برغيف الخبز وعوامل استغلال المواطنين بجاعتهم لهذا الرغيف ما زالت مستمرة، برغم كل ما قيل عن دور الذكاء في الحد من هذه الظاهرة، وبرغم كل ما تم الإعلان عنه من إجراءات، والأمر لم يقف عند حدود رغيف الخبز التمويني فقط، بل وصل إلى رغيف الخبز السياحي أيضاً.

## ■ سمير علي

أمام مخازن ابن العميد، فما زالت تعمل شبكات عمالة الأطفال حتى الآن، مستغلة هؤلاء، بالإضافة إلى استغلال أصحاب الحاجة من المواطنين، وقد وصل سعر رطل الخبز إلى 250 ليرة، وأحياناً تصل إلى 300 ليرة، بحسب الحال والتوقيت والازدحام.

## شبكات السجون

خلال الفترة الماضية، تم وضع شبك معدني على مداخل الأفران في تجمع مخازن ابن العميد، وهي تكاد تشبه شبك السجون، حيث يدخل إليها المواطن ليصطف في طابور الانتظار خلفها، وصولاً إلى كوة البيع.

وبحسب أحدهم، تشبهاً بالسجون، فإن «الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود»، وربما قد يكون ذلك ارتباطاً برغيف الحياة الذي يسعى إليه كل من يدخل ضمن هذا الشبك المعيب بشكله وغيابته، خاصة أن هذه الغاية لم تتحقق بالنتيجة.

فلا الطوابير أصبحت أكثر انتظاماً، كما لم تحد هذه الشبائك من تسرب رطلات الخبز إلى شبكات البائعين المنتشرين في المكان!

## التهرب من المسؤولية

أما الحديث عن تعاون المواطنين بهذا الشأن فهو لم يخرج عن كونه نوعاً من التهرب من المسؤولية المباشرة التي تقع على عاتق الجهات الرقابية، التي لم يلمس المواطنون دورها على مستوى رغيف الخبز الذي كان وما زال بوابة استغلال مشرعة، سواء من خلال مواصفته ونوعيته التي تنحو باتجاه المزيد من التردّي، أو على مستوى الاستغلال السعري من خلال شبكات التجارة بهذا الرغيف، التي يلجأ إليها بعض المواطنين هرباً من الازدحام وتوفيراً للجهد والوقت. فأفران ابن العميد مثلاً: تقع بالقرب من وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك، ومع ذلك ترى الكثير من المخالفات أمامها وبدخلها، فكيف ستكون حال المخازن والأفران البعيدة؟! وأي دور يمكن أن يُلعب بالمواطن المغلوب على أمره في ظل استمرار غياب الجهات المعنية رسمياً في الحفاظ على حقّه برغيف الخبز المناسب سعراً ومواصفة.

## الخبز السياحي لم يسلم أيضاً

مستهلكو الخبز السياحي أيضاً لم يسلموا من عوامل الاستغلال، فربطات الخبز السياحي تختلف أسعارها بين محل وآخر، وبين الرغيف الصغير والكبير، وبحسب اسم المخبز أيضاً، بعيداً عن الوزن وعدد الأرزقة،

ما هو مفترض، وبهذا الشأن يتساءلون أيضاً عن دور الجهات الرقابية وفعاليتها الغائبة.

## لن نملّ الحديث!

لن نملّ من طرح موضوع رغيف الخبز، وخاصة التمويني، وإعادة الحديث عنه بين الحين والآخر، وصولاً إلى إيجاد حل نهائي لشبكات الفساد والتربح العاملة في عمقه، ومن خلال كافة مكوناته، وعبر جميع حلقات إنتاجه، اعتباراً من حبة القمح وصولاً إلى المستهلك، على حساب المواطنين، كما على حساب الاقتصاد الوطني باعتباره من المواد المدعومة افتراضاً.

والمواطن المستهلك لهذا النوع من الخبز أصبح لا يعلم تماماً ما هي التسعيرة الرسمية لكل رطل خبز بحسب نوعها وحجمها ووزنها.

أما عن المواصفة فحدث بلا حرج، فلا سياحة ولا من هم يحزنون فيها، فمواصفات هذا الرغيف ومكوناته المفترضة تقلصت وانحدرت، وما زالت تتقلص وتتحدر، وصولاً إلى سرعة جفافه وتكسره أيضاً.

ويقول مستهلكو هذا النوع من الخبز: حيناً لو يتم استبدال اسم هذا الرغيف الذي أصبح عارياً من مكوناته التي أسبغت عليه الاسم بسببها، فلا سكر ولا حليب ولا محلب ولا منكهات ومحسنات بحسب

**رغيف الخبز كان وما زال بوابة استغلال مشرعة سواء من خلال مواصفته ونوعيته التي تنحو باتجاه المزيد من التردّي أو على مستوى الاستغلال السعري**

# الامتحان الوطني مجدداً

تداولت بعض الصفحات الطلابية الخاصة بطلاب الكليات الطبية نذير واعتراضات طلاب كليات الطب البشري على نتائج الامتحان الوطني الأخير.

## ■ سوسن عجيب

مضمون الاعتراضات كانت متنوعة، اعتباراً من نقص العلامات، مروراً بعدم نشر سلالم التصحيح، وصولاً إلى غاية الامتحان نفسه ونتائجه العملية بالنسبة لهؤلاء الطلاب على مستوى مستقبلهم.

## اعتراضات طلاب الطب البشري

نعرض فيما يلي ما ورد على صفحة «سماعة حكيم الإعلامية» بتاريخ 2020/7/1 بخصوص اعتراضات طلاب كليات الطب البشري:

«وصل إلى بريد سماعة حكيم الإعلامية عدد من الرسائل التي تشككي من حصول ظلم في عملية التصحيح وجاء في بعضها:

ظلم كبير ولا مجيب أو منصف... نحن طلاب السنة السادسة المتقدمين إلى دورة الامتحان الوطني دورة حزيران بعد طول انتظار وتأجيل في ظروف صعبة، نقص 10 ل 15 علامة لكل طالب لا

أحد يعلم السبب مع وجود أخطاء واضحة في الأسئلة.

الطلاب الذين كانوا يعتبرون أنهم ضامنو النجاح ويفكرون فقط بعلامتهم والالتحاق بالمشافي السورية لخدمة الوطن في هذه الظروف الصعبة تفاجأوا برسوبهم! تقدم للامتحان 682 رسب منهم 328 بنسبة 48%، ونجح منهم 354 بنسبة 51.9%، ونال من الناجحين 33 طالباً علامة 60، ونجح 67 طالباً من خلال علامتي المساعدة، فيما تراوحت علامات 113 شخصاً بين 61-65.

اي: من 682 هنالك 141 فقط علاماتهم أكثر من 65، ما يجعل من أمر دخولهم الاختصاص الذي يحملون به أمراً أشبه بالمستحيل. من الجدير بالذكر أن نسب النجاح المتعدنية قد وصلت إلى 0% في بعض المراكز، ما يجعل من طبيعة العملية الامتحانية تحدياً أكثر من كونها مقياساً لذخيرة المعلومات التي اكتسبها الطالب على مدى 6 أعوام من الدراسة المتواصلة، إذ كانت الأسئلة صادمة ليس لمستوى صعوبتها وإنما لحجم الإشكالات التي تعاني منها، ما سبب ارتباكاً عاماً وعدم توجه من قبل جميع الطلاب خلال خوض الامتحان وبعده، ناهيك عن الجدلالات التي

سببتها بعض الأسئلة عند العودة إلى أطباء مختصين. كما من التنويه إلى أن بعض الأرقام التي أوردها المركز خاطئة حسابياً «في حالة جامعة حماة مثلاً، وبحسب معلومات المركز، تقدم 30 طالباً إلى الامتحان لكن مجموع الراسبين والناجحين 35»، وبناءً على ذلك من الوارد جداً وجود أخطاء حسابية أخرى في العلامات التي أوردها المركز، إذ أجمع معظم الطلاب على وجود فارق بينها وبين توقعاتهم بنحو 15-20 علامة «بحسب سلم التصحيح الذي جُمع بعد الامتحان بمجهود طلابي هائل، وذلك نظراً لعدم نشر المركز لأية سلالم تصحيح للأسئلة، ما يجعل الموضوع محيراً للشخص اعتقد أنه ناجح وسينال 80 ليناال في النهاية 55 ويرسب». لذا نظراً لهذه التناقضات ونسبة النجاح المتعدنية، نطالب بإنصافنا من خلال نشر سلم التصحيح المشكوك بأمره أو إعادة النظر بالأسئلة التي إن وقعت بين يدي اختصاصي قدير لأخطا في معظمها، أو تشكيل لجنة خارجية لإعادة النظر في عملية التصحيح التي لا بد وأنها قد كانت مصدر الخطأ، وإن لم يكن الأمر ذلك بالإمكان، فإننا نطالب منحنا دورة استثنائية في أقرب وقت ممكن



بالمقابل تجدر الإشارة إلى أن تباين المواقف حيال الامتحان الوطني لا يقتصر على الطلاب فقط، بل شمل أيضاً بعض الأساتذة في الكليات الطبية، بما في ذلك عميد كلية الطب في جامعة دمشق نفسه، الذي سبق أن وضع الكثير من الملاحظات على الامتحان الوطني، وعلى مركز القياس والتقويم في وزارة التعليم العالي أيضاً.

فهل ستتجاوب وزارة التعليم العالي مع مطالب طلاب كليات الطب كما ورد بحسب اعتراضهم أعلاه؟ ننتظر مع وقفة لاحقة!

تجنباً لخسارة فرصة التقدم إلى مفاضلة وزارة الصحة».

## الاعتراضات ليست جديدة فهل من تجاوب؟

الاعتراضات الحالية على الامتحان الوطني لطلاب كليات الطب ليست الأولى من نوعها، ولن تكون الأخيرة.

وكذلك فالامتحان الوطني لطلاب الصيدلة كان قد جرى بتاريخ 2020/7/4، ولم تصدر نتائجه بعد، وربما ستكون لنا وقفة مع هذه النتائج في حينها، نرصد من خلالها آراء هؤلاء الطلاب حيالها.

# المواطن الخارق



يا سادة يا كرام، كان عند الشعب السوري من زمان عادة آلا وهية: بيتصلو بأبو طارق الكهربجي... وأبو زياد النجار... وأبو فهد مصلح البرادات والغسالات والمكيفات شيت الشركات هدوليك تبعات البيع... لما بدون يصلحوا أي عطل ناتج من الكهربيا الترددية...

## دعاء دادو

لأنو الكهرباء الترددية ما انخلقت بالحرب!!! من قبل الحرب وفي بعض المناطق ومناطق عشوائية مالا مخدمة من كل النواحي حتى ع صعيد الكهربيا...

يعني كان صاحب محل التصليح «الصناعي» يشتغل شغلو منيح آنذاك!!!

أما اليوم، فيا حسرتي عليهم وع حالنا... المهم، تزامناً مع استخدام الجملة الشهيرة لدى المواطنين السوريين «بتعرف شو صار حقو اليوم؟!» وع جميع الأصدقاء كمان.. لجأ أغلب المواطنين الفاطنين داخل أرجاء الوطن إلى عبارة «أخدم نفسك بنفسك»..

وهل الجملة هي فجرت المواهب والمهارات المكبوتة عند النساء السوريات قبل الرجال إذا بدكون!!! ووفرت ع جيبتون كثير من دفع المصاريف...

ولأخذ العلم... ما حدا فيون لجأ لدورات تدريبية أو مساعدات وأسئلة من أي حدا مختص!!!

أبدأ، الأغلب لجأ للطريقة يلي لجأتلها ربة المنزل أم حسن يلي زوجها استشهد بالحرب وعندا أطفال صغار والقرش يلي بيغفوت البيت ولادها أحق فيه من المصلحين الفتيين مثل ما قالت: «ما كنت متوقعة إني اضطر بيوم من الأيام لتصليح غسالتني لحالي... بس مستحيل استغني عنها ومستحيل كمان أني حظ بحدود الـ 4 ألف للمصلح بين سعر القطع المدبول ع قولتو مع أجرة أيدو!!! وبلشت دور وبحبش عن مقاطع فيديو ع اليوتيوب عن آية تصليح العطل كوني بعرف شو هو... وقبل ما بلش فك أي شي من القطع

صورت الغسالة بجوالي كرمال أعرف رجع القطع والبراعي مثل ما كانت... وبعد شغل أربع ساعات فيها رجعت الغسالة اشتغلت من أول وجديد وبس بـ 10 آلاف بدل الـ 40 ألف!!!».

يعني التوفير كان بحدود الـ 30 ألف... المهم، الموضوع نفسو صار مع أبو أمجد بموضوع الصحية قال «ما كنت متوقع إني رح أنجح بتصليح التمديدات الصحية وخصوصي إنو الموضوع ما كان سهل بالمره، بس ما كان عندي خيار ثاني وقت يلي طلب مني المصلح أجرة الـ 60 ألف وأنا موظف دولة وما عندي شغل ثاني!!!».

وغيرون وغيراتون من الناس والتصليحات يلي مستحيل تخطر ببال حدا...

الغلا وقلة الضمير واستغلال الناس، خلا الأغلبية يستغفوا عن المصلحين ويعتمدوا ع حالون بأغلب المشاكل والأعطال يلي كانت تصير، سواء كان السبب من الكهربيا الزفت يلي ببلدنا أو من طول عمر الآلة الكهربائية

**الغلا والفقر يلي نهش عظام المواطن أجبروا ع التوفير والاعتماد ع ذاتو وع عضلاتو...**

بس الحاجة أم الاختراع!!! بيقولوا إنو حياة الإنسان مجموعة من التجارب والخبرات، ولأزم كل حدا فينا يتأقلم مع الظروف الراهن يلي هو فيه كقدر- وهالمصائب يلي نزلت مثل زخ المطر ع هل البلد...

بس هل حملة التوفير ورحمة الجيبة يلي لجأ لأغلب المواطنين كانت بمثابة إفلاس بالنسبة لصحاب المهن وهنن أعدين بالمحل عم يكشو دبان، وفي البعض تسكرت محلاتون لأنون خسروا زباينون المعترين... وهاد الشي سبب فقر لبعض المهنيين «المصلحين» الصغار يلي ديمأ حجتون مثل حجة الكبار هو الملعون...

جيبة المواطن صغيرة كثير... والمصاريف والالتزامات والتصليحات كثيرة... لا التاجر عم يرحم المعلم... ولا المعلم عم يرحم المواطن... والرقيب والحسيب طنش تعش تنتعش... وحلوها إذا فيكون تحلوها...

أو حتى تقشير الدهان لبيت صرلو قرن مكسي... لأنو ما عاد حدا طالع بايدو يبذل الآلة أو حتى يجيب شي مستعمل من الأسعار الخيالية يلي عم تتطلب مع كلمة «السعر كثير عادي ومنطقي هل الأيام»..

ع قولة هدوليك المواطنين يلي اشتغلوا بايدون «المصلح عم يرفع أجرتو مع ارتفاع هداك المقوص، حتى إذا كان التصليح مندون الحاجة لأية قطع غيار... ليش؟؟ الله أعلم!!!» وصارت رفعة أيد المعلم بترتفع مع ارتفاع الملعون...

الغلا والفقر يلي نهش عظام المواطن أجبروا ع التوفير والاعتماد ع ذاتو وع عضلاتو... أجبروه يعمل شغلات مستحيل كان يعملها من قبل من رجال للنسوان وبكل الأعمار حتى...

في وحدة قالت «هل الحرب ربتنا تربية مرتبة، والحو فيها فجرت مواهنا وقدراتنا يلي كانت مكبوتة جواتنا!!! ما حدا يسدق

## أجور العاملين في الخطوط الحديدية مشكلة مزمنة



للمؤسسة العامة للخطوط الحديدية السورية لدفع الرواتب والأجور والتأمينات الاجتماعية للعاملين لديها، وذلك بتاريخ 2020/6/21. وعلى ضوء الموافقة أعلاه ما على العاملين إلا انتظار دورة الروتين السابقة كي يتمكوا أخيراً من استلام استحقاقاتهم.

### ضغوط مستمرة وتساؤلات

بحسب هؤلاء، إن العامل الزمني المقترن بالانتظار والتأخر على حسابهم، والمتكرر منذ سنوات وحتى الآن، يشكل من الناحية العملية مزيداً من الضغوط المعيشية فوق ما يكابدونه من ضغوط على هذا المستوى.

ويتساءل هؤلاء: متى يتم التعامل معهم ومع

### دورة روتينية مكررة

يقول العاملون في المؤسسة: إنهم دائماً بانتظار الموافقة الحكومية على منح سلفة مالية لتسديد الرواتب والأجور والتأمينات الاجتماعية، وهؤلاء دائماً بانتظار المهلة الزمنية اللازمة لاستكمال تحويل هذه السلفة وصرفها، والتي تتطلب موافقة وزارة المالية، ثم التحويل للمصرف المركزي ليصار لاحقاً إلى إحالتها إلى فروع المصرف في المحافظات ليأتي دور وزارة النقل ودور المؤسسة في النهاية، وغيرها من المهل الزمنية الإضافية التي تعتبر مزيداً من الانتظار للحصول على الاستحقاقات المالية.

يشار بهذا الصدد، أن الحكومة وافقت على منح سلفة مالية

معانة العاملين في المؤسسة للخطوط الحديدية السورية على مستوى التأخر في استلام رواتبهم وأجورهم واستحقاقاتهم ليست جديدة، فهي مستمرة منذ سنوات دون إيجاد حل نهائي لها.

### مراسل قاسيون

فالعاملون في المؤسسة وموظفوها على مستوى القطر لم يستلموا استحقاقاتهم عن شهر حزيران حتى تاريخه، بحسب بعضهم، ويعزوا ذلك لاستمرار التراخي واللامبالاة من قبل المسؤولين عن ذلك على مستوى الإدارات المسؤولة عن السلفة المقررة لهذه الغاية، وإجراءات التحويل والصرف، حسب قولهم.

وعلى اعتبار أن الأمر مقترن بموافقة الحكومة على السلفة المالية، فهل من الصعوبة استدرار أمرها قبل وقت كاف لاستكمال إجراءات الصرف في موعيدها؟

استحقاقاتهم الشهرية كما غيرهم من العاملين في الدولة، التي تتقيد إدارتهم بصرف رواتبهم وأجورهم وفقاً لمواعيد محددة دون تأخر؟

# الجرائم المتزايدة والخشية المشروعة



■ عادل إبراهيم

تزايد الاهتمام بأخبار الجرائم والممارسات الشاذة المتفشية في المجتمع، وأصبحت محط اهتمام الكثير من المواطنين، مع الكثير من عوامل الخشية من نتائجها وآثارها السلبية على الأفراد والمجتمع والدولة، وذلك نظراً لتزايدها وانتشارها وتنوع أشكالها.

أما اللافت في الموضوع بالنسبة للمواطنين فهو أن حيثيات بعض الجرائم ومبرراتها تعتبر مستجدة على واقعنا وبنية مجتمعنا، ومع ذلك يظهر الشذوذ لدرجة التوحش في بعض هذه الجرائم وكأنه معتاد لدى الفاعلين!

## رصد للأخبار الرسمية خلال أسبوع

الأخبار المتداولة عبر المواطنين عن الجرائم والممارسات الشاذة، ومن خلال صفحات التواصل والمواقع الإعلامية، كثيرة، وربما بعضها يفقد المصداقية ببعض تفاصيلها، لكن سنكتفي بسرده بعض الأخبار الموثقة رسمياً، للإضاءة على نوعية الجرائم المنتشرة والمتكاثرة.

وفيما يلي رصد لعناوين بعض الأخبار كما وردت على موقع وزارة الداخلية الرسمي، خلال الأسبوع الماضي فقط:

بتاريخ 2020/7/5: «أقدم على اغتصاب قاصر وقتلها خنقاً ... وشرطة منطقة دريكيش تلقي القبض على الفاعلين».

«شرطة ناحية جرمانا في ريف دمشق تلقي القبض على عصابة سرقة وتعيد جزءاً كبيراً من المسروقات لأصحابها».

بتاريخ 2020/7/4: «مواطن يشك بوفاة شقيقه.. ومركز الأمن الجنائي في مصيف يكشف ملابسات الجريمة».

«امرأة تستغل طفلها بترويج المواد المخدرة.. وفرع مكافحة المخدرات في دمشق يلقى القبض عليها وعلى أربعة أشخاص آخرين من مروجي المواد المخدرة».

«قتل شقيقته ذبحاً بالسكين بعد أن اغتصبها ... وشرطة ناحية ببيلا تلقي القبض عليه خلال ساعة واحدة».

«توقيف عصابة سرقة تمتهن سرقة المنازل والمحلات التجارية في حماة».

بتاريخ 2020/7/2: «خلافات سابقة بين عائلتين في اللاذقية تؤدي إلى حصول مشاجرة وطعن أحد المتشاجرين، وقسم شرطة المدينة الشمالي يلقى القبض على الجاني فوراً ويمنع تطور الخلاف».

«فرع مكافحة المخدرات في حلب يلقى القبض على سبعة أشخاص من مروجي المواد المخدرة».

بتاريخ 2020/7/1: «ارتكبا أفزع جريمة قتل واغتصاب وحرقت عائلة بكاملها... وشرطة ناحية ببيلا تلقي

القبض عليهما خلال ثلاث ساعات».

«مخفر شرطة صيدنايا في ريف دمشق يلقى القبض على لص خطير».

بتاريخ 2020/6/30: «قسم شرطة الكلاسة في حلب يكشف عصابة سرقة مؤلفة من (10) أشخاص ويلقي القبض على جميع أفرادها».

بتاريخ 2020/6/29: «مركز شرطة خان الشيخ في ريف دمشق يسترد مسروقات بقيمة خمسة ملايين ليرة سورية».

«فرع مكافحة المخدرات في دمشق يلقى القبض على (6) أشخاص من مروجي المخدرات، ويصادر أكثر من (40) كغ من مادة الحشيش المخدر».

بتاريخ 2020/6/28: «شرطة منطقة الغاب تلقي القبض على شخصين أحدهما منزع عصابة سرقة واسترداد قسم من المسروقات».

«فرع مكافحة المخدرات في طرطوس يلقى القبض على أحد مروجي ومتعاطي المواد المخدرة ويصادر كمية منها».

«القبض على سارقي منازل في اللاذقية بطريقة الخلع والكسر ليلاً».

بتاريخ 2020/6/27: «مركز شرطة منطقة القطيفة في ريف دمشق يلقى القبض على ستة أشخاص يتعاطون المواد المخدرة ويروجونها».

«أقدم على تصويرها عارية وتهديدها بنشر الصور والتحقيقات تؤدي للكشف عن مصدر مخدرات وسرقات في المليحة بريف دمشق».

«توقيف ثلاثة من أخطر المطلوبين بجرائم الخطف والسلب والسرقة في حماة».

«قسم شرطة جوبر يلقى القبض على شخص كان يقوم بسحب حوالات مالية ويزور تواقيع أصحابها ويسترد المبالغ المسروقة».

مع الأخذ بعين الاعتبار أن العناوين أعلاه

لا تشمل الحوادث المسجلة لدى المخافر والأقسام الشرطة.

## عناوين عديدة

### يغلب عليها التخطيط المسبق

العناوين أعلاه، تضمنت جرائم «القتل- السلب- الاغتصاب- تعاطي وترويج المخدرات- التزوير- الخطف»، ونظرة سريعة لها ربما توضح أحقية الخشية المشروعة لدى المواطنين، التي تبرز تزايد الاهتمام بمتابعتها ومعرفة حيثياتها، خاصة بسبب بشاعة بعضها.

بالمقابل، ربما تبين الأخبار أعلاه ما وصلت إليه بعض الجرائم من شذوذ لدرجة التوحش، وكيف تتراقب بعض الجرائم مع بعضها، أو كيف تؤدي الواحدة للأخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار أن غالبيتها تعتبر من الأفعال الجرمية المقصودة، مسبقة الإعداد والتخطيط.

## الدوافع الفردية والتأثير الاجتماعي

لا شك أن الجريمة جرمية، مهما كانت دوافعها، ومن كان مرتكبها، لكن عند وقوعها يتم البحث عن الدوافع لها لفكك ملامساتها وتبيان حقيقتها، وفقاً للضوابط والأسس القانونية المعمول بها بغاية تطبيق ما ينص القانون حيالها من عقاب بحق مرتكبها، حفاظاً على أمن الأفراد والمجتمع.

فالجريمة، وإن كانت ذات طابع فردي، مجرمين وضحايا، لكن تأثيرها ونتائجها وتداعياتها تمتد خارج حدود المجرمين والضحايا مؤثرة على المجتمع ككل، وقد تقوض أركان المجتمع والدولة في حال تزايدها وانتشارها، وهو ما يخشى منه.

## الظروف المساعدة والمولدة للجريمة

لن نخوض في الدوافع والأسباب ذات الطابع

الفردية والشخصي التي تعمل عليها الأجهزة الشرطة والقضائية بحسب ما تنص عليه القوانين، بقدر ما يعيننا التركيز على بعض الظروف والجوانب المساعدة على تفشي وانتشار الجريمة بمختلف عناوينها.

قد لا يختلف اثنان على أن سني الحرب والأزمة وما نتج عنها من تداعيات سلبية دفع ضريبتها غالبية السوريين، بالتوازي مع سياسات الإفكار المعمول بها، تعتبر عوامل مساعدة على تفشي الجريمة ومولدة لانتشارها، ناهيك عن أن بعض الجرائم باتت أكثر تنظيماً وتشبيكاً، بين الفاعلين والمستفيدين، بما في ذلك بين الداخل والخارج أيضاً، مثل: الجرائم المرتبطة بـ«المخدرات- تجارة الأعضاء- الدعارة- تجارة الأسلحة- التهريب- العملة».

وبعيداً عن الكثير من التفاصيل بما يخص عناوين الحرب والسياسات، يبدو الحديث عن مكافحة الجريمة، والوقاية منها قبل وقوعها، حفاظاً على أمن الأفراد والمجتمع والدولة، بدون الحديث عن الواقع الاقتصادي الاجتماعي، وخاصة الظروف المعيشية للمفقرين، بغاية تحسينها وتأمين المتطلبات الحياتية، المادية والروحية، لعموم المواطنين، حديثاً دون جدوى بهذا الصد، بل وبلا طائل!

على ذلك فإن المطلوب بكل اختصار، درءاً لتزايد وتفشي الجريمة:

العمل على التخفيف من التداعيات السلبية التي تراكمت خلال سني الحرب والأزمة على المواطنين، وذلك بالحد الأدنى تهيئاً لإنهاءها وتجاوزها لاحقاً.

القطع مع كل السياسات الاقتصادية الليبرالية ذات الطابع المتوحش، التي كان من نتائجها المزيد من الإفكار والتهميش، والمزيد من تهتك البنية المجتمعية، والمزيد من إضعاف الدولة.

# كوفيد-19 ونكبة الرأسمالية



وَصَح كوفيد-19، كما لم يحصل من قبل، ترابط الضعف الاقتصادي والوبائي والإيكولوجي- البيئي الذي فرضته الرأسمالية. ففي الوقت الذي يدخل فيه العالم العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، نشهد ظهور نكبة الرأسمالية مع اتخاذ الأزمة الهيكلية للنظام أبعاداً عالمية.

■ بقلم: جون بيلامي فوستر وإنتان سواندي  
ترجمة قاسيون

منذ أواخر القرن العشرين، والعولمة الرأسمالية تتبنى بشكل متزايد نمط سلاسل التوريد المترابطة والمتحكم بها من قبل الشركات متعددة الجنسيات، والتي تصل مناطق الإنتاج المتعددة بعضها ببعض، والموجودة بشكل رئيس في الجنوب العالمي، بالتزامن مع وصول الاستهلاك والتمويل والتراكم العالمي لثروته في الشمال العالمي بشكل رئيس.

تشكل سلاسل السلع هذه، الدورات المادية «الفيزيائية» الرئيسية لرأس المال على مستوى العالم، بحيث تؤسس ظاهرة الإمبريالية المتأخرة التي يمكن وضع محدد لها: صعود رأس المال المالي الاحتكاري المعجم.

ضمن هذا النظام، لا يتم الاكتفاء بتحصيل الربح الباهظ للإمبريالية من السيطرة على الإنتاج العالمي من خلال «ميزان العمالة العالمية»، عبر الشركات متعددة الجنسيات التي توجد مقراتها في مراكز النظام الذي يفرط باستغلال العمالة الصناعية في الدول الطرفية، بل أيضاً من خلال «ميزان الأرض العالمي»، حيث «تستولي expropriate» الشركات متعددة الجنسيات العاملة بالقطاع الزراعي على الأراضي زهيدة الثمن «وعمالها الزراعية زهيدة الثمن» في الجنوب العالمي بهدف إنتاج محاصيل تصديرية يمكن بيعها بشكل رئيس في الشمال العالمي.

شدد ماركس، على «الجانب السلبي- التدميري» للتوسع الرأسمالي فيما يتعلق بالشروط الطبيعية للإنتاج وباستغلال البشر والطبيعية ككل. لقد كان «الصدع الذي لا يمكن رأبه في عملية الاستغلال الاجتماعي» «الصدع الاستقلابي» الذي شكّل علاقة الرأسمالية المدمرة بالأرض. «الرأسمالية تستهلك أكثر من قدرة الأرض والمجتمع على إعادة تجديد إنتاج ذاتهما»، وهو ما يدفع نحو

«الأوبئة دورية الحدوث» التي تنتج عن ذات التناقضات العضوية في النظام.

تزداد مثل هذه الأطر التحليلية، بالأساس لفهم الميل للآزمات الاقتصادية والوبائية والإيكولوجية في الإمبريالية المتأخرة. إنها تسمح لنا بتصور الكيفية التي ترتبط فيها دورة رأس المال في ظل الإمبريالية المتأخرة بمسببات المرض عن طريق الأعمال الزراعية، والكيفية التي ولدت فيها وباء كوفيد-19. والذي بدوره ولد اضطراباً في تدفق القيم الاستعمالية على شكل بضائع مادية وما أنتجه من انقطاع في القيمة، وأزمة اقتصادية حادة ودائمة.

النتيجة هي دفع الاقتصاد الراكد بالفعل إلى الحافة، ما يهدد بإسقاط البنية الفوقية المالية للنظام. أخيراً، يقع وراء كل هذا الصدع الكوكبي الأكبر الذي ولدته نكبة الرأسمالية، والبادي في التغيير المناخي وتخطي حدود كوكبية متنوعة، حيث تشكل الأزمة الوبائية الحالية ببساطة مجرد تجلٍ مأساوي آخر.

## رؤية الوباء

### في إطار دورة رأس المال المعاصر

نشأ خلال العقد الماضي وبشكل واضح نهج «عالم واحد- صحة واحدة» أكثر شمولاً مع تصاعد مسببات المرض، وذلك بشكل رئيس كاستجابة لظهور الأمراض الحيوانية الحديثة مثل: سارس وميرز وإنفلونزا الخنازير التي انتقلت إلى الإنسان من الحيوانات، سواء برية أم مدجنة. دمج نموذج «صحة واحدة» التحليلات الوبائية على أساسات إيكولوجية- بيئية، ما أدى إلى جمع العلماء البيئيين والأطباء والبيطريين ومحليي الصحة العامة ضمن نهج ذي بعد عالمي. لكن الإطار الإيكولوجي الأصلي الذي حفز «صحة واحدة»، والذي مثل نهجاً أكثر حداثة وشمولية للأوبئة الحيوانية، تم الاستيلاء عليه وإنكاره بشكل جزئي من قبل منظمات مهيمنة، مثل: البنك الدولي ومنظمة الصحة

العالمية ومركز التحكم بالأوبئة الأمريكي. وعليه، تم تحويل المنهج متعدد القطاعات لمفهوم «صحة واحدة» بسرعة إلى نمط يجمع بين مصالح متنوعة، مثل: الصحة العامة والأدوية الخاصة وصحة الحيوانات والأعمال الزراعية والصناعات الدوائية الكبرى، لتعزيز الاستجابة لما تم النظر إليه كأوبئة عرضية. وذلك أثناء تصاعد إستراتيجية شركاتية يلعب فيها رأس المال، وخاصة الزراعي، دور العنصر المهيمن. والنتيجة هي الإغفال المنهجي للترابط بين الآزمات الوبائية والاقتصاد العالمي الرأسمالي، ضمن ما يزعم كونه نموذجاً كلياً.

ولهذا نشأ منهجٌ ثوري جديد كرد على مسببات المرض، والمعروف باسم «صحة واحدة هيكلية»، ليبنى بشكل نقدي على «صحة واحدة» متجنراً في تقاليد المادية- التاريخية الأوسع. بالنسبة لمؤيدي «صحة واحدة هيكلية» فالأمر الرئيس هو التأكيد على الكيفية التي يرتبط بها الوباء ضمن الاقتصاد العالمي المعاصر، بدورة رأس المال التي تغير الظروف المناخية بسرعة. كتب مجموعة من العلماء سلسلة من الأعمال عرفوا فيها «صحة واحدة هيكلية» بأنه: مجال جديد يفحص آثار الدورة العالمية لرأس المال والسياقات الرئيسية الأخرى، بما فيها التواريخ الثقافية العميقة، على الاقتصادات الزراعية الإقليمية وديناميكية الأمراض العابرة للأنواع المرتبطة بها.

ينفصل المنهج المادي- التاريخي الممثل بـ «صحة واحدة هيكلية» عن منهج «صحة واحدة» السائد في:

التركيز على سلاسل السلع بوصفها موجهة للأوبئة.

الابتعاد عن منهج «الجغرافيا المطلقة» التي تركز على مناطق معينة نشأ فيها الفيروس، والتي تخفق في إدراك قنوات الانتقال الاقتصادية العالمية.

عدم النظر إلى الأوبئة بوصفها أحداثاً عشوائية استثنائية أو عرضية، بل على أنها تعكس أزمة هيكلية عامة لرأس المال.

اعتماد المنهج الديالكتيكي في علم الأحياء، المرتبط بالعالمين ريتشارد ليفاينز وريتشارد

ليونتاين من جامعة هارفارد. الإصرار على إعادة إنشاء المجتمع بشكل جذري، وبشكل كبير بطرق تعزز الاستقلال العالمي المستدام.

لم يظهر علم الأوبئة المادي- التاريخي من العدم، بل بُني على كفاحات اشتراكية وتحليلات نقدية طويلة للأوبئة.

ومن المهم بشكل خاص في علم الأوبئة المادي- التاريخي الجديد المرتبط بـ «صحة واحدة هيكلية» الإقرار الصريح بدور الأعمال الزراعية العالمية ودمجه مع الأبحاث التفصيلية في كل جوانب مسببات المرض، عبر التركيز على مسببات الحيوانات الجديدة.

فكما أشار روب والاس، فمثل هذه الأمراض هي «سقطات حيوية غير مقصودة في الجهود الهادفة لتوجيه علم الأحياء وعلم البيئة لخدمة الربحية متعددة الجنسيات»، ما أسهم بإنتاج مسببات مرض جديدة مميّنة. تعزز الأعمال الزراعية الخارجية الحيوانات المدججة المتشابهة والأحادية جينياً «الأمر الذي ألغى الحواجز المناعية»، ويشمل ذلك مزارع الخنازير الضخمة ومزارع الدواجن الهائلة، ويترافق ذلك مع الإزالة السريعة للغابات والاختلاط الفوضوي بين الطيور البرية وغيرها من الحياة البرية مع الإنتاج الصناعي للحيوانات- دون أن نستثنى الأسواق الرطبة. خلق هذا البيئة اللازمة لانتشار مسببات المرض المميّنة الجديدة، مثل: سارس وميرز وإيبولا وإنفلونزا الخنازير وإنفلونزا الطيور. لقد مات أكثر من نصف مليون شخص بسبب الانتشار العالمي لإنفلونزا الخنازير، بينما تحطت وفيات سارس- كوف-2 ذلك بكثير.

سلاسل سلع الأعمال الزراعية العالمية المترابطة، تؤمن الأساس لظهور مسببات مرض حيوانية جديدة، فما لا يقل عن 60% من مسببات المرض البشرية الجديدة تظهر عبر الانتقال من الحيوانات إلى المجتمعات البشرية المحلية، قبل أن تنتشر الناجحة منها إلى بقية أنحاء العالم.

## الشركات وميزان الأرض العالمي

إن إعادة الهيكلة الإمبريالية للإنتاج في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي

ومع الانقطاع العام في سلاسل السلع، تدخل هذه السلسلة المعقدة من التمويل، وهي التي تكون موضوعاً للمضاربة بحد ذاتها، بطبيعتها في وضع الأزمة ذاته، مما يخلق نقاط ضعف إضافية في النظام المالي الهش أساساً.

### الإمبريالية والطبقية والوباء

يرتبط سارس-كوف-2، مثله مثل مسببات المرض الأخرى التي ظهرت أو عادت للظهور في الأعوام الماضية، بشكل وثيق بمجموعة معقدة من العوامل، وتشمل:

تطوير الأعمال الزراعية العالمية، مع التوسع في الثقافة الزراعية الأحادية جينياً والتي تزيد من قابلية التعرض للإصابة بأمراض حيوانية من الحيوانات البرية والمجنبة إلى البشر، تدمير البيئات البرية وتعطيل نشاطات الأنواع البرية.

البشر الذين يعيشون بشكل متقارب من بعضهم البعض. فلا شك بأن سلاسل السلع العالمية وأنواع الاختلاط الذي أنتجتها قد أصبحت من عوامل الانتقال السريع للأمراض، ما يضع كامل نمط التنمية الاستغلالي العالمي هذا موضع مساءلة.

فكما أشار ستيفن روش من كلية الإدارة في جامعة يال، وهو المدير الاقتصادي السابق لمورغان ستانلي والمنشئ الرئيس لمفهوم ميزان العمالة العالمية، في سياق أزمة فيروس كورونا: «ما تريده المراكز المالية للشركات هو بضائع منخفضة التكاليف بغض النظر عما تعنيه هذه الكفاءة من نقص الاستثمار في الصحة العامة، أو نقص الاستثمار في حماية البيئة ونوعية المناخ». إن النتيجة لنهج «كفاءة التكاليف» غير المستدام هذا، هي الأزمة الوبائية والإيكولوجية العالمية المعاصرة وعواقبها المالية، ما يزيد من زعزعة استقرار النظام الذي كان يبدي بالفعل سمة «الارتفاع المفرط» في الفجوات المالية.

في الوقت الحالي، تقبع الدول الثرية في مركز زلزال ووباء كوفيد-19 والسقوط المالي، لكن الأزمة الكلية التي تحمل آثاراً اقتصادية ووبائية، ستضرب الدول الفقيرة بشكل أقسى. فالتعامل مع أزمة كوكبية بهذا الحجم يتم فترته في نهاية المطاف من خلال نظام الطبقة الإمبريالية. في آذار 2020 أصدر فريق الاستجابة لكوفيد-19 في الكلية الإمبراطورية سيناريو غير مخفف ستكون بحدود 15 مليون في شرقي آسيا والمحيط الهادئ، و7.6 ملايين في جنوب آسيا، و3 ملايين في أمريكا اللاتينية والكاريبي، و2.5 مليون في بلدان جنوب الصحراء الإفريقية، و1.7 مليون في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وذلك بالمقارنة مع 7.2 ملايين في أوروبا وآسيا الوسطى وحوالي 3 ملايين في أمريكا الشمالية.

فكما يقول مايك ديفيس: «رأس المال القرن الحادي والعشرين تشير إلى فرز دائم للبشرية... عبر الحكم على جزء من الجنس البشري بالانقراض...».

تبرز ضرورة إعادة بناء اجتماعي ثورية، مجدداً كما ظهرت بوضوح مرات عدة عبر التاريخ، إن منطق التنمية التاريخي يشير إلى الحاجة إلى نظام مشاعي ومشارك لتجديد الإنتاج الاجتماعي المنسجم بيئياً، حيث ينظم المنتجون بشكل عقلاني الانسجام الاجتماعي مع البيئة، ليسمحوا لكل من البيئة والمجتمع بالتنمية الحرة. إن مستقبل الإنسانية في القرن الحالي يعتمد على ما أسماه ماركس «الحرية الشاملة»، أن نسجم للكوكب باستقلال صحيح ليستطيع أن يجدد نفسه بكل عناصره، الأمر الذي سيحدد حاضر ومستقبل الإنسان وربما استمراريته!

وجوع وحرمان واسع النطاق. وكما نفهم كلا تعقيد وفوضى الأزمة الحالية، علينا أن ندرك عدم امتلاك أي مدير تنفيذي لأية شركة متعددة الجنسيات في أي مكان لخريطة كاملة عن سلسلة سلع شركته.

عندما تفشى فيروس كورونا المتجدد في ووهان في الصين، تم اكتشاف أن 51 ألف شركة عالمية لديها على الأقل مورد واحد في ووهان. في 27 شباط 2020، عندما كان اضطراب سلسلة التوريد لا يزال متركزاً بشكل كبير في الصين، أعلن المنتدى الاقتصادي العالمي بأن أكثر من 90% من أغنى ألف شركة متعددة الجنسيات لديها مورد من الدرجة الأولى أو الثانية قد تأثر بالفيروس.

الوباء السابق سارس-كوف-2 جعل رسم خرائط سلاسل السلع أمراً ملحاً بالنسبة للشركات، لكن هذا الأمر معقد بشكل هائل. وفقاً لمجلة هارفارد بزنس ريفيو: «أخبرنا المدراء التنفيذيون لمصنع أشباه موصلات ياباني بأن الأمر يتطلب فريقاً من 100 شخص يعملون لأكثر من عام لرسم خرائط لشبكات توريد الشركة في المستويات الفرعية، وذلك بعد الزلزال وتسونامي وحادثة فوكوشيما النووية في 2011».

عندما حدثت كارثة فوكوشيما النووية، اكتشف في حينه بأن منطقة فوكوشيما كانت تنتج 60% من قطع الغيار الرئيسية في العالم، ولم يكن أحد يعلم هذا حتى وقعت الحادثة، وتكسرت السلاسل.

إن حجم وباء فيروس كورونا وعواقبه على التراكم العالمي غير مسبوقين، حيث لا تزال الكلفة الاقتصادية العالمية بازدياد. في نهاية آذار، كان هناك حوالي ثلاثة مليارات شخص إما في وضع الإغلاق أو التباعد الاجتماعي. لم تملك معظم الشركات أية خطط طوارئ للتعامل مع الانكسارات المتعددة في سلاسل توريدها. تجلّى حجم المشكلة في الأشهر الأولى من عام 2020 عندما شهدنا عشرات آلاف إعلانات الظروف القاهرة، حيث أشار الموردون إلى عدم قدرتهم على تنفيذ العقود بسبب أحداث خارجية غير معتادة. وتراجع الشحن وانخفضت رحلات الركاب الجوية في جميع أنحاء العالم بنسبة 90%.

وفقاً لتقديرات منظمة التجارة العالمية في أوائل شهر نيسان، ستخفّض التجارة العالمية في عام 2020 بنسبة 13% ضمن أكثر السيناريوهات تفاؤلاً، وبنسبة 32% ضمن أكثرها تشاؤماً. وفي حال تحقق السيناريو المتشائم، سيعادل انهيار التجارة العالمية في عام واحد ما حدث خلال أزمة الكساد الكبير في ثلاثينات القرن العشرين على مدى ثلاثة أعوام.

بالنسبة للشركات متعددة الجنسيات الحالية، أظهرت الدراسات المبينة على ثمانمئة حالة بأن وسطي التأثير على الشركات جراء مثل هذا الاضطراب في سلسلة التوريد يتضمن: «انخفاضاً في دخل التشغيل بنسبة 107%، وانخفاضاً في عائدات المبيعات بنسبة 114%، وانخفاضاً في عائدات الأصول بنسبة 93%، وانخفاضاً في نمو المبيعات بنسبة 7%، وزيادة في التكاليف بنسبة 11%، ونمواً في المخزون بنسبة 14%».

رغم أنه لا أحد يعلم كيف سينتهي هذا في الوقت الحالي، فحتى في حالات الشركات المنفردة، لدى رأس المال جميع المبررات ليخشى العواقب على التسعير والتراكم. في كل مكان ينخفض الإنتاج وترتفع البطالة/البطالة الجزئية، حيث تسرح الشركات العمال الذين يتركون وحيداً في الولايات المتحدة. الشركات اليوم في سباق لسحب سلاسل سلعها وإعطاء مظهر الاستقرار فيما يبدو كأزمة شاملة. علاوة على ذلك، فإن الانقطاع في كامل سلسلة التحويل المتضمنة في ميزان العمالة العالمي يهدد بتوليد انهيار مالي في اقتصاد عالمي لا يزال متمسكاً بالركود والدين والتحول للتمويل.



مرض سارس فيما بينهم بعد بضعة أيام فقط من انتقاله من خفاش في كهف.

### تشويش سلسلة السلع وتأثير السوط العالمي

مسببات المرض الجديدة التي ولدتها الأعمال الزراعية دون قصد، لا تحمل بذاتها قيماً استعمالية مادية-طبيعية، بل هي من البقايا السامة لنظام الإنتاج الرأسمالي، والتي يمكن تعقبها في سلاسل سلع الأعمال الزراعية جزءاً من نظام الغذاء المعولم. ورغم ذلك، وفي شكل من «انتقام» الطبيعة المجازي الذي صورّه إنغلز ولاكستر، فالتأثيرات المضاعفة لمزيج الكوارث الوبائية والبيئية التي ظهرت بفضل سلاسل السلع العالمية الحالية-وتصرفات الأعمال الزراعية- قد أدت إلى ظهور وباء كوفيد-19، ما قاطع كامل نظام الإنتاج العالمي. أدى الإغلاق والتباعد الاجتماعي وإيقاف الإنتاج في قطاعات الإنتاج الرئيسية العالمية إلى هزّ سلاسل القيمة-التوريد على نطاق دولي. ولد هذا «تأثير سوط» هائل يتأرجح ما بين نهايات العرض والطلب في سلاسل السلع العالمية. علاوة على ذلك، حدث وباء كوفيد-19 في سياق نظام رأس المال المالي الاحتكاري النيوليبرالي الذي فرض التفتيش في جميع القطاعات العامة حول العالم، مشتتلاً على قطاع الصحة العامة. إن التنبؤ العالمي لإنتاج «على الموعد» والمنافسة القائمة على وقت التسليم في تنظيم سلاسل السلع العالمية، قد ترك الشركات والمنشآت مثل المستشفيات، وهي لا تملك سوى منافس تهوية قليلة، المشكلة التي تضاعفت بسبب التخزين الطارئ لبعض البضائع لدى جزء من السكان. وكانت النتيجة رضاً استثنائياً في كامل الاقتصاد العالمي.

### كوفيد-19 أول أزمة سلسلة توريد شاملة

إن وباء كوفيد-19، مع الإغلاق والتباعد الاجتماعي المصاحبين له، هو أول أزمة سلسلة-توريد عالمية. قاد هذا إلى خسارة في القيمة الاقتصادية وإلى بطالة/بطالة جزئية شديدين وانهيار شركاتي، واستغلال زائد

والعشرين- والتي نعرفها باسم العولمة- نجمت بشكل رئيس عن ميزان العمالة العالمي والاستغلال المفرط والفائق للعمال في الجنوب العالمي. يشمل هذا التلوث المعتمد للبيئات المحلية لصالح منفعة مراكز رأس المال والتمويل العالمي. لكنه دفع أيضاً بشكل جزئي بميزان الأرض العالمي الذي حدث بشكل متزامن مع نشاط الشركات متعددة الجنسيات العاملة بالزراعة.

فأسعار الأراضي في معظم مناطق الجنوب العالمي أقل بكثير من الربيع المتحقق منها عندما تستثمرها الشركات وتدخل منتجاتها في السوق المعولمة. وقد تم تعزيز معظم هذا الأمر بما يسمى «ثورة المواشي» التي حولت المواشي إلى سلعة معولمة معتمدة على المعالف الضخمة والثقافة الأحادية النوع. تم تعزيز هذا الاتجاه من خلال مصارف التنمية المتنوعة، ضمن سياق ما يسمى بشكل ملطف «إعادة الهيكلة الإقليمية»، والتي شملت إزالة المزارعين والمنتجين الصغار لصالح الشركات متعددة الجنسيات- وبشكل رئيس الشركات الزراعية- وشملت إزالة الغابات وتدمير النظام البيئي. عرف هذا الأمر أيضاً باسم الاستيلاء على الأرض في القرن الحادي والعشرين، والذي سرعه ارتفاع أسعار الأغذية الرئيسية عام 2008 ومرة أخرى عام 2011، وكذلك صناديق الثروة الخاصة التي سعت للحصول على أصول ملموسة في وجه الزعزعة التي حدثت إثر الأزمة المالية الكبرى بين 2007 و2009. النتيجة كانت أكبر هجرة حاشدة في تاريخ البشرية، حيث طرد الناس من الأرض ضمن عملية عالمية لطرد الفلاحين وتحويل البيئة الزراعية في كامل الإقليم، واستبدال الزراعة التقليدية بأخرى أحادية النوع، ودفع السكان نحو الأحياء الفقيرة في المدن.

عملت هذه المناطق التي تم تدميرها حديثاً كأسواق محلية وكمراكز إقليمية لمرور السلع الزراعية العالمية... ونتيجة لذلك، لم تعد مصادر مسببات المرض الرئيسية ولا ديناميات أمراض الغابات محصورة في المناطق النائية فقط. لقد تحولت الأوبئة المرتبطة بهذه المناطق إلى عابرة للزمان. يمكن أن يجد السكان في مدينة كبيرة أنفسهم ينشرون

يتذكر الجميع اليوم، إنتاج الشوندر السكري وصناعة السكر... تلك العملية التي كانت واحدة من منظومات غذائية متكاملة مدارة زراعياً وصناعياً وتجارياً عبر الدولة، والتي توقفت في عام 2015 بشكل كامل، بينما كانت تنازع منذ عام 2013.

## الشوندر السكري.. ب 5% من الموازنة يتم إلغاء الطلب على 96 مليون دولار



استثمار إنفاقي على معاميل الدولة القابلة للبدء بالعمل، مثل: تل سلح ب ومسكنة... وجميعها نفقات قد لا تفوق فعلياً كلفة الاستيراد في عام واحد والتي بمقاييس عام 2018 بلغت 193 مليون دولار، ما يعادل اليوم: 240 - 424 مليار ليرة تقريباً بالأسعار المختلفة للدولار... وهي كتلة الليرة التي سيتم بيعها في السوق لتحصيل دولار لاستيراد السكر، بينما من الممكن أن تتحول هذه الكتلة من الليرة إلى كتلة استثمار إنتاجي لري الأراضي، وتوسيع معاميل وإنتاج سلع ومنتجات ودخول محلية تؤمن استدامة إنتاج السكر محلياً، وتقلص الطلب على الدولار بمعدل نصف المستوردات، وحوالي 96 مليون دولار سنوياً أي إنها دعم مباشر لليرة وتقليص مباشر للدولار.

### دعم الليرة وتقليص للدولار

من المؤكد: أن زراعة الشوندر السكري مجزية، إذا ما تمّ الخروج من عقلية انتظار الموارد من المستثمرين والتعامل مع موارد الدولة على أنها موظفة للمصلحة العامة، وجاهزة للاستثمار في حل مشاكل كبرى، مثل: الجوع وربط الغذاء بالدولار! إن إعادة منظومة الشوندر السكري تتطلب دفعات إنفاق أولى بالليرة السورية... ليس فقط لشراء الشوندر، بل لدعم شبكات الري، ودعم بذار الشوندر، وهو ما يمكن أن يتم عبر إعادة تفعيل قروض المصرف الزراعي، إذ لم يعد مقبولاً كسب إنتاج السكر مقابل خسارة المياه... كما أنه لا يمكن إعادة تشغيل المعامل واستيعاب إنتاج مليوني طن دون

من المؤكد: أن زراعة الشوندر السكري مجزية إذا ما تمّ الخروج من عقلية انتظار الموارد والمستثمرين والتعامل مع موارد الدولة على أنها موظفة للمصلحة العامة

سلح ب لبقايا الشوندر السكري الذي يسوقه بعض المزارعين وبيع كاعلاف للمواشي، إذ دفع المعمل في العام الماضي سعر 25 ألف ليرة للطن، وهو رقم تأشيري لحدود التكلفة مع هامش ربح. وبأخذ سعر الصرف كمقياس تضخم، فإن هذه التكلفة التي تعادل في العام الماضي: 35 دولاراً، قد تكون ارتفعت اليوم إلى حدود 44 ألف ليرة بناء على تغيرات سعر الصرف. وبفرض أن سعر شراء الطن: 45 ألف ليرة من المزارعين، فإن تغطية تسويق محصول بمقدار مليوني طن تتطلب: 90 مليار ليرة تقريباً وهي تعادل اليوم: 72 مليون دولار.

### منتجات بقيم تفوق 120 مليار ليرة

إن هذه المؤشرات الأولية تشير إلى أنه يمكن أن تكون كلفة المادة الخام وهي الشوندر في صناعة السكر تشكل مقدراً يقارب 450 ليرة من تكلفة الكيلو، ويضاف إليها بطبيعة الحال تكاليف أخرى ولكنها الكلفة الأساس التي يتم دفعها من الجهات العامة للمزارعين. ما يعني أن مبيعاً بسعر يقارب 500 ليرة يغطي التكلفة حكماً، ليس فقط من عوائد مبيع السكر بل من مجموعة السلع المنتجة الأخرى، التي كانت تشكل نسبة 25% من مبيعات المؤسسة العامة للسكر قبل الأزمة من منتجات «الخميرة والكحول وتكرير زيت القطن، والصابون ومنتجات ثانوية أخرى. أي: يمكن بعلاقة تقريبية أن يتم إنتاج سلع بقيمة 120 مليار ليرة سواء من السكر أو غيره عن طريق دعم زراعة الشوندر بقيمة 90 مليار ليرة.

اليوم لم يتبقّ من هذه المنظومة إلا 10 آلاف طن يزرعها المزارعون وبيعونها لمعمل سلح ب لتباع علفاً للمواشي، بينما يتم استيراد السكر الأبيض المكرر وجزءاً أقل سكر أحمر خاماً يتم تكريره في معمل سكر حمص، لصالح الشركات الموردة. وبالمقابل، يتم الاعتماد في تأمين حاجة البلاد من السكر والتي تقارب 400 ألف طن، على الاستيراد، إذ قاربت فاتورة الاستيراد الكلية للسكر في عام 2018: 84 مليار ليرة، أي: ما يعادل 193 مليون دولار\* في حينها. \*بناء على بيانات التجارة الخارجية من المجموعة الإحصائية 2019 - وسعر الصرف الرسمي السابق: 435 ليرة».

### معملا تل سلح ب ومسكنة موجودان

يتكرر الحديث عن أن جهات حكومية في الزراعة والموارد المائية والصناعية تدرس إعادة تشغيل معمل إنتاج السكر من الشوندر في تل سلح ب، والذي يتطلب 200 ألف طن من الشوندر بالحد الأدنى ليصبح تشغيله ذا جدوى، والمعمل متوقف نتيجة عدم توفر الشوندر، بينما قدرته على الإنتاج لم تتأثر وخطوطه موجودة. مع العلم أن المعمل ليس الوحيد بل هناك معمل مسكنة في حلب الذي أشارت تصريحات رسمية منذ عام 2017 بأنه يمكن إعادة تشغيله بتكلفة تقارب 15 مليار ليرة أي: ما يعادل في حينها: 34 مليون دولار، وذلك لتأمين المحولات والتجهيزات التي تم سرقتها بينما خطوط الإنتاج الأساسية لا تزال موجودة... ولكن المشكلة الأساس في تأمين المادة الخام، وهي الشوندر السكري.

2% من الأراضي الزراعية لحماة وحلب يحتاج إنتاج 200 ألف طن من السكر إلى مليوني طن تقريباً من الشوندر، وهذه تحتاج إلى مساحات زراعية تقارب 30 ألف هكتار من الأراضي. وقد لا تكون المساحات هي المشكلة، لأن مساحات كهذه تشكل نسبة 2% فقط من الأراضي المزروعة في محافظتي حلب وحماة في عام 2018 وهما الأقرب إلى المعامل المذكورة، هذا عدا عن أن مجموع الأراضي القابلة للزراعة وغير المستثمرة في المحافظتين يبلغ: 76 ألف هكتار، أي: ضعف المساحة المطلوبة لإنتاج نصف حاجات السكر تقريباً. هذا عن أن التسعير المناسب يشكل حافزاً للمزارعين في مناطق أخرى في شمال الغاب التابع لإدلب، والذي قد يعيد ربط المزارعين هناك بمنظومات الإنتاج المحلية والعملة السورية.

### 90 مليار ليرة لشراء الشوندر!

أما كلفة هذا الإنتاج الزراعي فتقديرها يمكن أن يعتمد على تسعير معمل تل

في مثل هذه الفترة تماماً من عام 2011 وما قبله كانت شاحنات المزارعين تنقل الشوندر السكري إلى معاميل السكر المتوزعة في سلح ب في حماة، وجسر الشغور في إدلب، ومسكنة في حلب، إضافة إلى فرعين أصغر في الرقة ودير الزور. لتنتج إنتاجاً قارب 81 مليون طن من الشوندر، تستطيع أن تنتج 180 ألف طن من السكر الأبيض.

# حرب أمريكية- صينية باردة؟



والاستراتيجيين إلى ركوب موجة التصعيد السياسي والاستفزازي اتجاه الصين بعد تفشي الوباء عالمياً، ومن جملة الردود الصينية أنها أرسلت سفناً دورية وسفن حراسة تابعة لها إلى قبالة جزر سينكاكو في البحر الصيني الشرقي، والتي تعتبرها طوكيو من مياها الإقليمية، بينما تعتبرها بكين جزءاً من الأراضي الصينية القديمة التي جرى استعمارها من اليابان سابقاً، وباتت هذه السفن الصينية متواجدة في المنطقة حتى الآن لمدة 86 يوماً، وهو رقم قياسي غير مسبوق في النزاع حول هذه الجزر.

وأعلنت الصين عن نيتها إجراء مناورات عسكرية بحرية في المنطقة، لتقوم واشنطن بانتقادها معتبرة إياها استفزازاً، بينما رفضت الصين هذه الانتقادات معتبرة على لسان المتحدث باسم خارجيتها: أن واشنطن هي المسؤولة عن زيادة التوتر في المنطقة.

## لكن الهزيمة لواشنطن الآن..

الوباء الفيروسي، وهونغ كونغ، والهند، والإيغور، والمناورات العسكرية، بالإضافة إلى العقوبات الاقتصادية والحرب التجارية والخ... جميعها تشكل جبهات تصعيد أمريكية على الصين وتزداد حدتها، الأمر الذي دعا بعض الكتاب الغربيين ووسائل الإعلام إلى توصيف الأمر بالـ «الحرب الباردة»، والذي قد يكون صحيحاً خاصة مع تثبیت موازين القوى الدولية الجديدة على غرار مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، باختلاف أن المتراجحة دولياً هنا الآن إنما هي واشنطن نفسها، وجميع بؤر التوتر التاريخية العالقة التي يجري فتحها ستمضي باتجاه المعالجة والحلول، وإن كانت آخر حروب واشنطن الباردة ثبتت موقعها العالمي المتقدم فإنها اليوم ستفضي إلى نتائج مختلفة تماماً.

## الحدود الهندية

إن الخلافات الحدودية الصينية-الهندية هي أيضاً من إرث مرحلة الاستعمار البريطاني وتركة عنه بشكل مقصود لإبقاء النزاع فتياً يجري إشعاله وتغذيته عند الحاجة، علماً بأن منطقة النزاع «محيط الهيمالايا» صغيرة وشبه خالية من الحياة الاجتماعية وطبيعة الخلاف تتعلق بسيادية هذه الدولة أو تلك عليها، يتوازى معها طبيعة الحالة التنافسية التاريخية بين الصين والهند على المستوى الاقتصادي والنفوذ الجيوسياسي للدولتين، ليجري استخدام الورقة بالتزامن مع كل التصعيد الأمريكي للضغط على الصينيين، ومحاولة توريث موسكو في المسألة، حينما طلبت الهند استلام أسلحة وطائرات روسية بشكل مبكر عن الاتفاق، قبل شهر في أثناء الصدام العسكري مع الصين، إلا أن موسكو امتنعت معلنة تسليمها في توقيتها وعدم تدخلها في الخلاف الهندي-الصيني.

## ورقة الإيغور

انطلقت موجة اتهامات جديدة أمريكية وأوروبية على الصين بقمع واضهاد الإيغور المسلمين في بلادها، وتقييمهم لمنع تناسل العرق الإيغوري، وما إلى ذلك من ادعاءات، مستندين على الحالة الخاصة التي تحياها هذه الفئة وتناقضاتها، أيضاً كلف من ملفات التوتر، وربما يشكل هذا الأمر أحد أكبر تهديدات الحرب الهجينة التي تجرّها واشنطن على الصين، حيث المتاجرة الأمريكية التاريخية بالجانب الديني وتحويله إلى أداة سياسية أو إسلام-سياسي لدى هذه المجموعة، لا يفضي بأية حال من الأحوال إلى حلّ التناقضات، وإنما إلى تغذيتها وإشعالها بغير مصلحة الإيغور أنفسهم أو الصين.

## مناورات عسكرية بحرية

دفعت واشنطن حلفاءها اليابانيين

امتلك أكثر من الوقت الكافي للقيام بإجراءاتها احتلت المركز الأول عالمياً بكم الإصابات المسجلة، حوالي مليون ونصف. وأمام هذه النتائج الفاقعة لم تتمكن واشنطن من استمرار ملامة الصين بهذا الشكل، لتنتقل الجبهة إلى منظمة الصحة العالمية متهمه إياها بإصدار تقارير مغلوطة وغير صحيحة بعد اجتيازها من سياقها التاريخي مع تطور الوباء والبحوث حوله، وحينما فشلت أيضاً بالدفاع عن فشلها بهذا الشكل، انطلق مايك بومبيو بالقول: إن الفيروس من المرجح أنه خرج خطأ أو ربما عمداً من المختبرات البيولوجية الصينية...؟

## هونغ كونغ

مع انحسار الوباء الفيروسي وبدء عودة الحياة والأنشطة الاجتماعية تدريجياً في الصين وهونغ كونغ، عادت التظاهرات المنظمة والمقادة بشكل أساس من المنظمات غير الحكومية المرتبطة مع واشنطن ولندن في هونغ كونغ بغاية توتير المنطقة والداخل الصيني، لترد بكين على هذا التصعيد القديم المستجد بإصدار قانون أمن قومي يتعلق بالمقاطعة، ويتيح للسلطات الصينية التصدي للنشطاء والقوى التي تنتم بالتوجهات الانفصالية أو الإرهابية، ليتباكي الأمريكيون والبريطانيون إثر ذلك على «الديمقراطية» في هونغ كونغ، ناعين مبدأ «دولة واحدة ونظامان»، وبهذه الفوضى قد ينسى المتابع حقيقة أن هذه المقاطعة قد كانت تحت الاستعمار البريطاني حتى عام 1997، ولا تزال لندن حتى اليوم تحظى بنفوذها وقدرتها على التأثير بها بما يخدم مصالحها ومصالح حلفائها، إن نعي «الديمقراطية» ومبدأ «دولة واحدة ونظامان» لا يعني هنا سوى نعي النفوذ الغربي وقدرته التخريبية في المقاطعة، حيث قانون الأمن القومي يشكل رداً سياسياً وإشارة إلى عزم بكين على حل مشكلة خاضرتها الضعيفة.

مع وصول جانحة فيروس كوفيد-19 إلى ذروته في الولايات المتحدة الأمريكية وبدء مرحلة انحساره، نشطت واشنطن في هجماتها اتجاه بكين وعلى مختلف الجبهات، بدءاً من تحميلها مسؤولية تفشي الوباء، وصولاً إلى اتهامها بـ «صناعته»، بالإضافة إلى الاستفادة من مسائل ونزاعات متفرقة مثل: هونغ كونغ، والحدود الصينية-الهندية، والإيغور، وليس انتهاءً بالتصعيد السياسي والعسكري في المناورات العسكرية البحرية التي تجريها بكين في بحر الصين الجنوبي، موظفةً واشنطن معها كلاً من اليابان وأستراليا بغية شيطنة الصين عالمياً، حتى وصل الأمر إلى تداول عبارة «الحرب الباردة» في المقالات الغربية توصيفاً للمعطيات الجارية وتطورها.

## يزن بوظو

إن الحملة الأمريكية على الصين عموماً، وإن خصوصاً، باتت تتعدى حدود تعارض المصالح الاقتصادية والسياسية، أو محاولات حفظ ماء الوجه بسبب الفشل الغربي في احتواء الوباء الفيروسي، لتصل إلى مستويات تهدد النظام السياسي الغربي ككل، حيث النموذج الصيني لا يقدم نفسه طرفاً دولياً بديلاً ومختلفاً عن الولايات الأمريكية في العلاقات الدولية فحسب، وإنما أيضاً في على المستوى المحلي في تلك الدول، حيث النشاط الصيني وما حققه في مواجهة الوباء الفيروسي، قد فضح تلك الدول وعراها أمام شعوبها، ليعطي لهذه الشعوب بالتالي وبشكل موضوعي دفعةً للمضي نحو تغيير هذه المنظومة.

## كوفيد-19

على جبهة الوباء الفيروسي، حاولت واشنطن على طول الخط إلقاء اللوم على بكين في تفشيه عالمياً بذرائع وديباجات عديدة، إلا أن الوقائع والنتائج تتحدث عن نفسها: حيث إن الصين التي لم تتلق أية تحذيرات مسبقة لتتمكن من تنفيذ إجراءات مسبقة أو حتى لتجهيز الاختبارات، والتي تحتوي على أكثر من مليار ونصف إنسان، لم يتجاوز عدد الإصابات بها الـ 86 ألفاً، بينما الولايات المتحدة التي

إن كانت آخر حروب واشنطن الباردة ثبتت موقعها العالمي المتقدم فإنها اليوم ستفضي إلى نتائج مختلفة تماماً

نعي «الديمقراطية» ومبدأ «دولة واحدة ونظامان» في هونغ كونغ لا يعني هنا سوى نعي النفوذ الغربي وقدرته التخريبية في المقاطعة

# الإرث الاشتراكي الصحي «2»



القولغا [ص36-37]: «ثم تحولنا إلى نقاش مع ممول أمريكي من وول ستريت، أتيت له فرصة إجراء تحقيق شامل في أعمال الحديد والصلب الجديدة في ماغنيغورسك (الجبل المغناطيسي)» شرق جبال الأورال (وغيرها من المصانع الجديدة الرائعة) وكان عبارة عن مدينة صناعية جديدة يجري بناؤها حول مصنع الصلب الذي تم تصميمه ليكون الأقوى في العالم، مع إنتاج متوقع بنحو أربعة ملايين طن من الحديد الخام سنوياً. كان رجل وول ستريت هذا مندهشاً من التطورات الصناعية التي شاهدها مثلما كنا نحن مندهشين من التطورات الصحية. وقد تأثر الرجل، من بين أمور أخرى، بالبحرية التي سُمح فيها للعمال بانتقاد الإدارة العامة للمصانع وزملائهم في العمل».

## 10- تحسين المخصّصات البشرية والمادية

«أدى الإنفاق المتزايد على الصحة إلى تحسين الخدمات باستمرار. بحلول عام 1937، كان هناك 132 ألف طبيب في عموم الاتحاد السوفييتي مقارنةً بألفي طبيب في روسيا القيصرية. وكان الفرق أكثر وضوحاً في الجمهوريات غير الروسية؛ ففي أذربيجان 2500 طبيب عام 1941 مقارنةً بـ 291 قبل الثورة. وفي طاجيكستان 372 طبيباً مقارنةً بـ 13 طبيباً فقط قبلها».

«كانت جميع أنواع العلاجات متاحة مجاناً للشعب (المستشفيات، والعلاج الطبيعي، والعلاج الإشعاعي، والمصحات، وعلاج الأسنان، وخدمات الأمومة... إلخ). وبلغت ميزانية الصحة العامة للاتحاد السوفييتي عام 1937 حوالي 75 ضعفاً من ميزانية روسيا عام 1913. وارتفع نصيب الفرد من الإنفاق الطبي من 90 كوبيكاً فقط عام 1913 إلى 60 روبلاً بحلول عام 1937. مع ذلك لم تكن ممارسة مهنة الطب كعمل خاص محظورة، لكنها ببساطة تلاشت تقريباً لأن الناس

لكل مريض يتم علاجه فيه، بحيث لا بد من أن يمر على جميع أقسامه. علاوة على ذلك، تقوم ممرضة بزيارة منزل كل مريض للتأكد من ظروف حياته المنزلية وعمله، والتنسيق لآلية خطوات ضرورية لتحسينها. وبالتالي، هناك حرص في هذه الحالة- كما في عيادات شاملة أخرى إلى حد ما- على التكامل بين جانبي الطب البيولوجي والاجتماعي، مما يعطي أفضل علاج للمرضى لضمان سرعة استعادة العافية والعودة للإنتاج».[ص232]

## 9- الديمقراطية للكادحين

«كان برنامج الصحة، ككل شيء في الاتحاد السوفييتي، يُدار بطريقة ديمقراطية على شكل «مثلث ذي قاعدة عريضة جداً». تتكون من آلاف اللجان في كل مصنع ومزرعة ومكان عمل. ويتم تنظيم لجان صحية في المباني السكنية، وانتخاب أعضائها مباشرة من السكان المحليين، وتدريبهم في مراكز متخصصة بالتثقيف الصحي. تتعاون اللجان الصحية مع الأطباء المحليين لتقديم الملاحظات وتحسين الخدمات؛ يتأكدون من إنفاق أموال التأمين الاجتماعي للعمال بالطريقة الأنسب؛ يشارك الممثلون المنتخبون من مكان العمل بالشكل التالي من التنظيم: المجالس الشعبية (السوفييتات) مسؤولة عن الإشراف على جميع المستشفيات والمؤسسات الصحية والتفتيش الصحي والتنظيم الأوسع لتعليم النظافة الشخصية وما إلى ذلك. ثم ثاني أعلى شكل تنظيمي هو المنطقة (الرايون)، وعدد المناطق حوالي 3000 في كل البلاد. في كل منطقة قسم صحي، برئاسة مفتش المنطقة للصحة العامة. وفي قمة الهرم مفوضية الشعب لشؤون الصحة، التي تتعاون مع باقي المؤسسات ومعاهد البحث العلمي. ومن خلال التنظيم الصحي بهذه الطريقة، تم إشراك جميع السكان بشكل مباشر» [م.1]. ورد في هذا السياق ضمن الكتاب نفسه ومن ذكريات المؤلفين في رحلتها عبر نهر

تناول الجزء الأول من هذه المادة بعض إنجازات الصحة العامة في الاتحاد السوفييتي، ولا سيما رعاية الطفل والأم، وتمييز الطب الوقائي ومكافحة الأوبئة. ويتابع الجزء الثاني هنا جوانب لا تقل أهمية عنها، كتطوير شبكة غير مسبوقه بالتاريخ من المستوصفات والعيادات الشاملة المنظمة والمتراصة، فضلاً عن مكافحة الكحولية والبغاء وغيرها. إنجازات إنسانية جعلت العلماء والمؤرخين الموضوعيين شرقاً وغرباً، يعترفون بأن الصحة الاشتراكية هي الأفضل في العالم.

## ■ مجموعة مؤرخين واطباء\* إعداد وتمريب: د. أسامة دليقان

المخالفين، كجزء من العمل السوفييتي ضد إدمان الكحول». [ص21-22]

كاملت شبكة المستوصفات والعيادات الشاملة السوفييتية بين الطب الوقائي والعلاجي وبين البيولوجي والاجتماعي وكانت القاعدة في بعضها: تمرير المريض على كل الاختصاصات لفحصه الشامل المجاني بغض النظر عن السبب الأصلي لزيارته

## 8- ثورة المستوصفات والعيادات الشاملة

«أنشئ هذه النوع من المؤسسات كحلقة ثانية وتوحيدية بعد دائرة طبيب المنزل وطبيب المصنع. وتتكفل بالإشراف على الأصحاء والمرضى في المنطقة، من جميع فئات السكان وليس العمال فقط، وبذلك يتم تحقيق الاندماج والتكامل بين الطب الوقائي والعلاجي للمجتمع».[ص231]

في وقت تأليف كتاب «الطب الأحمر» كان «سكان قازان 175 ألف نسمة، ووضعت في خدمتهم أربعة مستوصفات مجانية تماماً، وخمسة فيها بعض الدفع. وجميعها مرتبطة مع عيادة جامعية كبيرة. وفي سامارا، التي كان سكانها 172 ألف نسمة، توجد عيادة طبية شاملة (متعددة الاختصاصات) في كل واحدة من مقاطعاتها السبع مع مستوصفات إضافية. وكان تنظيم هذه الشبكة الصحية في ساراتوف مشابهاً أيضاً. في روستوف على الدون، وجد المؤلفان، كما في كل مكان آخر، أن الطبيب في المستوصف يسمح له برؤية ستة مرضى فقط في الساعة، حتى لو تطلب ذلك أن يعمل لوقت إضافي».

في روستوف تفقّد المؤلفان «المستوصف الموحد»، واصفين إياه بأنه «أحد أفضل مستوصفات روسيا آنذاك. وكانت إحدى قواعد عمله أنه يجب إجراء فحوصات شاملة

## 7- معالجة الكحولية والبغاء

«في مقابلة مع د. كازاروف، رئيس معهد موسكو للأمراض الجلدية والتناسلية، أعطانا معلومات قيمة فيما يتعلق بتنظيم مكافحة الأمراض الزهريّة. كان المعهد يحتوي على 400 سرير، ومرتبطة بخمسة مستوصفات للأمراض التناسلية في المدينة، وبالمصنع والمستوصفات العامة الأخرى التي تقدّم أيضاً بعض العلاجات لهذه الأمراض... قمنا بزيارة أحد «مصحات العزل الوقائي» العديدة في موسكو والمخصصة لمكافحة الدعارة، حيث وجدنا 500 امرأة يتلقين الرعاية الطبية وبالوقت نفسه يتم تدريبهن على أعمال مهنية مفيدة. خصّصت إحدى غرف المصح كـمعرض تاريخي تربوي يبين الطرق الماضية والحالية للعلاج والوقاية من الأمراض التناسلية، مع التأكيد على علاقة البغاء بالرأسمالية والفقر؛ تقول إحدى اللافتات: «فلتذهب منهُ الصدقات الخيرية إلى الجحيم!» - الأمر الذي يعكس فكرة مجانية المساعدة الطبية ومسؤولية الدولة عنها.

«ثم قمنا بزيارة أحد «المصحات الليلية» ورأينا كيف يتم إيواء العمال الذين يحتاجون إلى راحة ورعاية خاصة أثناء مواصلة العمل اليومي. كشفت زيارتنا إلى إحدى «مصحات مكافحة الكحول» العشر في موسكو، عن طرق رعاية مدمني الفودكا، وفرض الانضباط على

# ... طور الصعود السوفييتي

والنظافة لكل فرد، ليست حكراً على اهتمام الفرد نفسه، بل مسؤولية كل فرد آخر من المجتمع نفسه.

(2) «على المجتمع عبر حكومته الاهتمام بتطبيق كل القوانين والإجراءات الصحية والعلاجية المعروفة للحفاظ على الصحة واستعادتها.

(3) «على الهيئات الحكومية إنشاء وتنظيم مؤسسات تتكفل بمهام أكثر من تلك التي يستطيع القيام بها مقدمو الخدمات الطبية كأفراد.

(4) «على النظام الصحي تحمل تكاليف العلاج المشفوي، لأنها تتجاوز الإمكانيات المتاحة لقسم كبير من السكان.

(5) «تقديم المعونة الصحية الكافية للجميع، بحيث يمنع أن تلحق معاناة أو أذى كبير أو موت بأي إنسان بسبب فقدان المأوى أو الغذاء أو العناية الطبية.

(6) «يجب استقصاء ومعالجة كل داء اجتماعياً وطبياً على حد سواء (فالمريض لا يحتاج فقط عناية طبية بالمعنى الضيق، بل ينبغي الاهتمام المتكامل بالظروف الأخرى المرتبطة بحالته: الشخصية والبيئية والنظافة والاجتماعية والاقتصادية والعقلية والروحية). كما أن كفاءة النظام الصحي تتعلق بمدى تقديمه لجميع الاحتياجات الصحية للمجتمع (طبية، وسنية، وتمريضية، وغيرها).

(7) «يجب تأمين العلاج للمريض إلى أكل مدى يتطلبه مرضه، وبغض النظر عن حالته المالية (والأحد تناقض مع الموضوعين 1 و2). كما وتتعلق كفاءة النظام الصحي أيضاً بمدى مساواته في الخدمات للريف والمدينة دون ثغرات ولا ازدواجيات في تغطية الخدمة.

(8) «درهم وقاية هو دائماً خير من قنطار علاج.

حسب مراجع الباحث الماركسي كارلوس رول، يموت في عالمنا المعاصر ما لا يقل عن 40 مليون شخص سنوياً بسبب الأمراض المتعلقة بالمجاعة. علماً أن توفير الحد الأدنى من الرعاية الصحية اللائقة لكل إنسان على هذا الكوكب لا يحتاج لأكثر من 3% من الميزانية العسكرية السنوية لكوكبنا الرأح تحت سيطرة الرأسمالية! إن الأرقام والمعلومات الواردة في هذه المادة تقدم دليلاً على فوائد الاشتراكية لصحة الناس، علماً بأنها تعكس فقط نحو 10 سنوات من البناء الاشتراكي (محسوبة من بداية الخطة الخمسية الأولى 1928). لقد أثبتت الاشتراكية تفوقها الحضاري الإنساني بما لا يدع مجالاً للشك.

## إن الاشتراكية هي الحل!

\* المراجع: محاضرة الباحث الماركسي-اللينيني كارلوس رول، عن النظام الصحي السوفييتي في أول عقدين بعد ثورة أكتوبر، والتي ألقاها عام 2000 أمام «جمعية ستالين» البريطانية (مقرها بريستول) ونشرت على موقع الجمعية عام 2017. وكتاب «الطب الأحمر، الصحة الاشتراكية في روسيا السوفييتية» الصادر في لندن 1933 لمؤلفه: الطبيب البريطاني السير آرثر نيوز هولم «الذي كان الضابط الطبي الأول لهيئة الحكم المحلي في إكلترا وويلز»، والدكتور الأمريكي في القانون والناشط الخيري في نيويورك، جون آدمز كينغسبيري. وقد وثق في الكتاب مشاهداتهم الميدانية من عدد كبير من المناطق الروسية والسوفييتية آنذاك. أشرنا للمقاطع من محاضرة رول ب [م]1، ومن كتاب «الطب الأحمر» برقم الصفحة.



أيضاً، فهناك صلة مباشرة بين الكرب stress «النوتر النفسي» وخاصة الكرب الخارج عن تحكم الشخص، والوظيفة المناعية. بالطبع، يعاني العمال، بالظروف التي يواجهونها، من أكبر الضغوط، وهذا يؤثر على صحتهم. وقد ثبت أيضاً أن هناك صلة محددة بين صحة الشخص ومستويات سيطرته النسبية على أحداث حياته ومستقبله. فحسب بحث كوباسا وزملائه (Kobasa et al 1979) فإن أولئك الذين يشعرون بأنهم لا يسيطرون على حياتهم، وحتى عند تكيفهم مع العوامل المؤثرة الأخرى، فإنهم يعانون من صحة سيئة. تحت الرأسمالية، تسيطر أقلية صغيرة، هي البرجوازية الكبيرة، بينما تكون حياة العامل العادي تحت رحمة الطبقة السائدة. أما الاتحاد السوفييتي، فمن خلال وضع السيطرة بين أيدي البروليتاريا، ومن خلال تأمين ضروريات الحياة بوفرة، وتوفير مرافق ترفيهية لائقة، نجح بتحسين الظروف النفسية والمادية للمواطن السوفييتي، وبالتالي تحسين صحته» [م]1.

## 13- أفضل نظام في العالم

يصل مؤلفا كتاب «الطب الأحمر» إلى النتيجة التالية: «بالقياس إلى الموضوعات التي وضعناها [وهي المعايير التي نوجزها أدناه] فإن من العدل الاستنتاج بأن روسيا السوفييتية، على الأقل في نواح كثيرة، اقتربت من تحقيق هذه الموضوعات أكثر من أية دولة أخرى درسناها أو لدينا علم بها... وفي برنامجنا، على الأقل، يجب أن نستنتج أن نظام الطب السوفييتي أكثر شمولاً وكماً مما هو موجود في أي بلد آخر».

وفيما يلي نلخص باختصار الموضوعات التي اعتبرها الكاتبان معايير عامة لجودة النظام الصحي والخدمة الطبي في أي مجتمع [ص279-294]:

(1) «أن تكون الرعاية الصحية والطبية

اليديين غير المهرة أكثر مما لدى المهنيين مثل: الأطباء والمحاميين، فما بالك بالأمراض لدى الجيش الضخم من العاطلين عن العمل. هذه الإحصاءات ليست مصادفة، كما أنها لا تشير إلى نوع من ضعف «وراثي» لدى الفقراء، بل يسلط الضوء على حقيقة أن الطبقة العاملة مجبرة على العيش في ظروف لا تؤدي إلى صحة جيدة».

«أما في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، فكما قال البروفيسور ن. بروبير غراشينكوف، مساعد مفوض الشعب للصحة العامة: «تم القضاء على البطالة والعوز والفقر بشكل دائم على أساس إلغاء استغلال الإنسان للإنسان. لقد نجحت الدولة الاشتراكية في فترة زمنية قصيرة بشكل ملحوظ في رفع المستوى المادي والثقافي لجميع السكان بشكل كبير، وبالتالي إرساء أساس متين للنجاح في مجال الصحة العامة». قضى الاتحاد السوفييتي على ظروف السكن البائسة، وزود المدينة والريف بشبكات المياه وأنظمة الصرف الصحي والكهرباء. وتمت زيادة جودة وكمية الأطعمة. زاد إنتاج الغذاء في عام 1938 إلى حوالي 6 أضعاف ما كان عليه في روسيا القيصرية عام 1913، وتم توفيره لجميع السكان. خلال فترة الخطة الخمسية الثانية (1933-1937) زاد استهلاك العمال من الفواكه ثلاثة أضعاف، واستهلاك اللحم المقدد واللحوم المعالجة الأخرى خمسة أضعاف، واستهلاك البيض بمقدار الضعف. في عام 1938 كان نصيب الفرد من استهلاك البروتين أكثر من 100 غرام في اليوم، مقارنة بـ 35 غراماً في ألمانيا [النازية]. زاد راتب المواطن السوفييتي عام 1938 إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه في العام 1932.» «والى جانب الفقر والبطالة، كأسباب مادية للأمراض، أثبتت الأبحاث التي أجريت على مدى العقود القليلة الماضية أن العوامل النفسية تلعب دوراً رئيساً في الأمراض

وجدوا خدمة طبية مجانية برعاية الدولة وذات جودة أفضل». [م]1

## 11- عقْدان من التقدم الصحي

«بحلول عام 1938، أدت 21 سنة من الحكم السوفييتي إلى انخفاض بنسبة 50% في معدل وفيات الأطفال. وتحسنت القياسات الجسمانية للطفل السوفييتي وسطياً كما يلي: ازداد طول قامة الطفل عام 1938 بنحو 3 سم مقارنة بالعهد القيصري. وازداد وزنه بنحو 5,2 كيلوغرام في عام 1937 مقارنة مع 1925. وتوسّع محيط صدر الطفل في 1938 بنحو 2,5 سم مقارنة بالعهد القيصري».

«كان معدل الوفيات عام 1937 في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية أقل بنسبة 40% من معدل الوفيات في روسيا عام 1913، وهذا يعني ارتفاعاً في «مأمول العمر» الوسطي. زاد معدل الولادات باستمرار، وبين عامي 1936-1937، أي: خلال سنة واحدة فقط قفز معدل الولادات بنسبة 18%. وفي لينينغراد ارتفع معدل التزايد السكاني من 5,3 لكل 1000 نسمة عام 1913 إلى 618 لكل 1000 نسمة عام 1937». [م]1

## 12- التخلص من «أبوالأمراض»

«المصدر الرئيسي للمرض في العالم الرأسمالي هو الفقر. من الموثق جيداً أن الفقراء يعانون من صحة أسوأ بكثير من الأغنياء. أفاد بحث باباس وآخرين (1993) أنه في عام 1986، كان معدل الوفيات بين الأمريكيين الذين يقل دخلهم السنوي عن 9 آلاف دولار أعلى بنسبة 3 إلى 7 مرات من أولئك الذين يكسبون 25 ألف دولار أو أكثر سنوياً. وأظهر المسح البريطاني العام للأسرة لعام 1989، في دراسة أجريت على آلاف الأشخاص، أن الإصابة بالأمراض المزمنة تكون أعلى بمرتين لدى العمال



## خلال الخطة

### الخمسية الثانية

«1933-1937» زادت

### تغذية العمال

السوفييت باللحوم

5 أضعاف والفواكه

3 أضعاف والبيض

ضعفين وعام

1938 حصل الفرد

السوفييتي على

100 غ بروتين/يوم

مقابل 35 غ/يوم

للألماني

# هل ما يجري يخدم الأمن القومي الأمريكي حقاً؟



فتح فيروس كورونا  
المستجد الباب واسعاً  
على الفرق الكبير بين  
الإنفاق العسكري  
في العالم والإنفاق  
الضروري على القطاع  
الصحي، وإن كانت  
الحكومات سارعت  
لتقديم «شهادات  
حسن سلوك» محاولةً  
إقناع شعوبها بأنها  
تنفق الكم الكافي  
على الصحة، كانت  
النتائج لا تقبل الشك  
والنقاش، ووصل  
القطاع الصحي  
في كثير من الدول  
إلى درجة الانفجار  
ولم يعد قادراً على  
استيعاب الأعداد  
المتزايدة من  
المصابين لينتروا  
لملافاة مصانيرهم.

## ■ عتاب منصور

ورأينا في الأونة الأخيرة الكثير من المقاربات التي حاولت تقديم صورة للقطاع الصحي العالمي، إذا ما جرى ضح بعض مما ينفق على الأسلحة في الأجزاء المخصصة للصحة من الميزانيات العامة، وكانت بعض هذه المقاربات صادمة فعلاً، فقد تحدث أحد التقارير أن سعر طائرة F-15 الأمريكية قادر على تأمين أكثر من 1.6 مليون فحص للمصابين بفيروس كورونا، وبأن سعر الطائرة الذي يصل إلى 105 مليون دولار يستطيع تأمين 549 مليون كاماعة! ويضيف التقرير إلى جانب العديد من المقاربات المشابهة، أن «50% من الإنفاق الدفاعي لدول الشرق الأوسط يستطيع تأمين مليوني سرير موزعة على 2000 مشفى ميداني».

## عجائب الدنيا

إن كانت مشكلة نقص الإنفاق على الصحة مشكلة عامة تعاني منها أغلبية دول العالم، إلا أن الولايات المتحدة تشكل حالة فريدة، فهي تعد اليوم المتضرر الأكبر من كوفيد-19، فقد سجلت الأرقام الرسمية أكثر من 2,9 مليون إصابة مؤكدة، وبنوفيات تجاوزت 132 ألفاً ما يعني نسبة وفيات تقارب الـ 9% وهي النسبة الأعلى عالمياً، وإذا ما ابتعدنا عن المقارنات بالدول الأخرى، مثل: ألمانيا وروسيا والصين والتي تؤكد كارثية الوضع في الولايات المتحدة - وعلى الرغم من أن الوضع بات يشكل خطراً حقيقياً على الأمن القومي الأمريكي - إلا أن هذا لم يغير من واقع الأمر، فالولايات

المتحدة التي تنفق أكثر من 730 مليار دولار على ميزانية الدفاع «أكثر من ميزانية الدفاع لصين والهند وروسيا والسعودية وفرنسا وألمانيا وبريطانيا واليابان وكوريا الجنوبية والبرازيل مجتمعين» لم تستطع زيادة موازنة مركز السيطرة على الأوبئة ومنعها إلى الحد المطلوب، والتي تعد ميزانيتها أصغر بتسعين مرة من سعر طائرة F-35 الأمريكية!

## في سبيل الأمن القومي!

تجرب النخب الأمريكية هذا الإنفاق العسكري الهائل بأنه إنفاق ضروري ولا بد منه للحفاظ على الأمن القومي الأمريكي، وهذا ما يدفعنا للنظر بعمق أكبر إلى هذا «الأمن القومي»، فإذا كان تفشي الوباء بهذا الشكل وما سيتركه من آثار هائلة على الاقتصاد وعلى تركيبة المجتمع لا يعد خطراً على الأمن القومي، فإن النظر إلى الإنفاق العسكري الأمريكي يوضح أن هذا الإنفاق بات خطراً على أمن البلاد أيضاً. فالمجمع الصناعي العسكري الأمريكي يقوم بعمليات سرقة موصوفة تجري عبر شبكة من علاقات المصلحة التي تديرها لجان الكونغرس المعنية بأمور الإنفاق، يضاف إلى ذلك بأن شركات تصنيع الأسلحة تستفيد اليوم من خطة الإنقاذ التي أقرتها الحكومة الأمريكية لتعويض الشركات المتضررة من آثار فيروس كورونا دون أن تلتزم بمعايير معينة، فقد قامت شركة جنرال إلكتريك بتسريح 25% من عمالها على الرغم من أنها تلقت 20 مليون دولار كمساعدة لتطوير «تقنيات الصناعة الدفاعية» والذي لا تساهم أصلاً بالحرب الفعلية

إذا كان تفشي الوباء بهذا الشكل لا يعد خطراً على الأمن القومي فإن النظر إلى الإنفاق العسكري الأمريكي يوضح أن هذا الإنفاق بات خطراً على أمن البلاد أيضاً!

بالإضافة إلى 43 ألف دولار تكلفة لساعة الطيران الواحدة! وهذه الفوارق الهائلة لا حصر لها وفي كل الميادين، هذا إذا لم نناقش النواقص التقنية والعسكرية التي تجعل من السلاح الأمريكي غير قادر على المنافسة في الميدان، لا بل لا يطابق المواصفات التقنية المتفق عليها مع وزارة الدفاع الأمريكية أصلاً! فالغواصة النووية المصنعة من قبل شركة جنرال ديناميك بتكلفة 126 مليار دولار بقيت لمدة عامين معيبة بعيوب تلحيم شديدة! وحاملة الطائرات الجديدة فورد، والتي بنتها شركة هنتنغتون إنغلز بتكلفة 213 مليار دولار، تحوي نظام إطلاق ذري معطل لم ينجح بإطلاق الطائرات وفقاً للتصميم المتفق عليه! أي: إن الشركات الخاصة الأمريكية التي تصنع السلاح بشكل حصري تفرض أسعاراً باهظة جداً بمواصفات رديئة، ذلك لأنها تتمتع بنفوذ كبير ضمن البنتاغون ومراكز صنع القرار في البلاد.

على كوفيد-19، وهذا حصل أيضاً مع شركة شركة أيروسيسستم التي تلقت 80 مليون دولار لتوسيع صناعاتها المحلية، ومع ذلك قامت بتسريح 900 عامل من عمالها. يرى البعض، أن التمييز الإيجابي الذي تتلقاه شركات تصنيع الأسلحة يصب في مصلحة البلاد، فهذه الشركات هي المصنعة الأساس للأسلحة الأمريكية «المتفوقة»، لكن الواقع يقول غير ذلك تماماً! فالولايات المتحدة التي تنفق أكثر من كل الدول التي ذكرتها مجتمعة لا تحجز موقعا متقدماً لهذه الدرجة بالمعنى العسكري الفعلي، فالعديد من الأسلحة الأمريكية تعد باهظة الثمن بشكل هائل إذا ما جرت مقارنتها مع نظيراتها المصنعة في البلدان الأخرى، فسعر المقاتلة الروسية سو-35 يصل إلى 75 مليون دولار بالإضافة إلى 36 ألف دولار تكلفة لساعة الطيران الواحدة، بمقابل سعر المقاتلة الأمريكية F-35 الذي يصل إلى 180 مليون دولار

هذه المعطيات التي ذكرت وغيرها الكثير تؤشر على مستوى فساد هائل يأخذ صبغة قانونية! فالشركات الخاصة الأمريكية والتي نظر إليها البعض في فترة تاريخية ما كرافع للولايات المتحدة الأمريكية بالمعنى الاقتصادي والعسكري تعمل لمصالحها ومصالحها فقط، فترجع وزن الولايات المتحدة الأمريكية في المعنى العالمي لا يشكل بالنسبة لرؤوس الأموال العابرة للثقافات مشكلة حقيقية، فبيع السلاح الذي بات البعض يرى فيه «خردة باهظة الثمن» إلى وزارة الدفاع الأمريكية لا يخدم الأمن القومي الأمريكي، والطريقة التي تجري فيها إدارة الأزمة الصحية التي تشهدها البلاد لا تخدمه أيضاً، وهذا ينطبق على التعامل مع الاحتجاجات القائمة ونسب البطالة المرتفعة والانتخابات في ظل الانقسام الحاد، والتي تشكل مجتمعة خطراً حقيقياً يجب أن يدفع إلى معركة حياة أو موت لا إلى محاباة هذه الشركات الفاسدة!

## الصورة عالمياً

## صالح في موسكو وسفارة روسيا تفتح أبوابها..



يزداد النشاط الروسي في الملف الليبي في الوقت الذي شهدت ساحات القتال معارك ساخنة جداً، واستقبلت موسكو رئيس مجلس النواب الليبي عقيلة صالح، وأعلن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف عن استئناف عمل سفارة بلاده في ليبيا.

## ■ ملاذ سعد

أكد النائب الثاني لرئيس مجلس النواب الليبي أحمدية حومة: أن روسيا اتخذت موقفاً جاداً من أجل عودة ليبيا كما كانت، حيث قال: «نحن نقدر وندعم الجهود الروسية، روسيا لم تترك ليبيا للعابثين، وإنما وقفت وقفة جادة.. ونحن لمساتها من المسؤولين في روسيا، وقفة جادة وحقيقية وصادقة لعودة ليبيا كما كانت، لتأخذ مكانها بين الدول» مضيفاً: إن «روسيا تدعم كل الجهود التي ترمي إلى وقف إطلاق النار، والعودة إلى العملية السياسية، فهي ستكون داعمة لنا في مجلس الأمن وفي اجتماعات الدول الثماني أو العشرين، وما إلى هنالك من اجتماعات».

## لقاء لافروف-عقيلة في موسكو

وفي يوم الجمعة الماضي اجتمع وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، مع رئيس مجلس النواب الليبي، عقيلة صالح، في موسكو، وأعلن لافروف خلال هذا اللقاء: أن موسكو قررت استئناف أنشطة سفارتها في ليبيا، مؤكداً: أن «وظائفها تشمل تمثيل روسيا في جميع أنحاء ليبيا».

وحول مبادرة القاهرة قال لافروف: «نحن لفتنا أيضاً الانتباه إلى الوثيقة التي أطلق عليها تسمية إعلان القاهرة،

التي أعلن عنها الرئيس المصري (...)» ونعتقد أن مبادرة القاهرة هذه تتلاءم مع قرارات المؤتمر الدولي حول ليبيا في برلين، وقد تشكل أساساً للمناقشات الليبية» مؤكداً: أنه لا حل عسكرياً للأزمة الليبية وإنما سياسياً عبر الحوار.

## سلوك دولي مشبوه

مقابل الدور الروسي، أعلن ستيفان دوجاريك المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة في مؤتمر صحفي: أن الحكومة الليبية برئاسة فايز السراج هي الشرعية والمعترف بها دولياً، قائلاً: «من الواضح، ومن وجهة نظرنا، أن هناك حكومة ليبية معترفاً بها دولياً مقرها في طرابلس، وهي التي نعمل معها»، ويبدو من هذا الموقف أن أطرافاً ترى بأن أية إمكانية للتقارب موضوعاً خطراً لا يجب أن يتم، فالواقع الليبي اليوم يتألف من ثلاثة أقطاب، أولها: «حكومة الوفاق» التي جاءت باعتراف دولي وكنتيجة لاتفاق الصخيرات على أن تكون حكومة مؤقتة، والتي دخلت لاحقاً مع المشير خليفة حفتر في نزاع مسلح دام، واليوم نرى تمايزاً في موقف رئيس البرلمان الليبي عقيلة صالح، ولا يمكن ضمن هذا الانقسام بين شرق وغرب البلاد الوصول إلى تسويات سياسية مستدامة، وهذا ما تسعى إليه أطراف دولية، فالدعم المطلق

لأحد هذه الأطراف يعني صداماً عسكرياً طويلاً يهدد بجر المنطقة كلها، ويشكل أيضاً عقبة كبيرة أمام الحل السياسي، وعلى الرغم من أن التدخل التركي ساهم بشكل كبير بهذا التصعيد للأمر، لم يصل إلى نقطة اللاعودة، فحليف أنقرة فايز السراج، أبدى درجة مقبولة من المرونة مع طروحات التوافقات السياسية، ويبدو أن موسكو تنظر باهتمام إلى هذه المرونة، فمن جهة هناك تطابق في المواقف بين وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف وعقيلة صالح حول «مبادرة القاهرة» التي قد تشكل أرضية حقيقية للبناء.

فالقرار الروسي بإعادة فتح السفارة مع التشديد: أن هذه السفارة ستمثل روسيا الاتحادية على كامل الأراضي الليبية، هو مؤشر على السلوك الروسي المتوقع في الفترة المقبلة، وهو يناقض اليوم مع سلوك الأطراف الفاعلة الأخرى التي يعمل بعضها بشكل يناقض مصالحه، فبناء الجسور بين الأجزاء المنقسمة والمتصارعة سيشكل دفعاً للعملية السياسية، وإن لم يكن كافياً بشكله الحالي لكن العمل بمنطق الجولات التي بات يميز السلوك الروسي الذي أصبح أقل ظهوراً منذ مؤتمر برلين ليعود إلى الواجهة بشكل بارز اليوم، ما يعني مبادرة جديدة ومحاولات جديدة.

• أصدر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين اليوم الجمعة مرسوماً يقضي بنشر نص الدستور الروسي بالتعديلات التي أضيفت إليه بموجب استفتاء شعبي شهدته البلاد يوم أمس.

• أكد نائب وزير الخارجية الروسي سيرغي ريباكوف، عدم وجود مفاوضات مملوطة بشأن مشاركة روسية في قمة مجموعة السبع الكبرى التي تعقد في وقت لاحق من هذا العام، وقال: «لم ولا تجري مفاوضات من هذا النوع».

• أكدت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل: أن على الاتحاد الأوروبي الاستعداد لاحتمال فشل المحادثات مع بريطانيا بشأن التوصل إلى اتفاق حول علاقاتهما المستقبلية.

• قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية تشاو لي جيان خلال مؤتمر صحفي دوري: إن تصريحات وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو بشأن تشريع الأمن الوطني لمنطقة هونغ كونغ الذي اعتمده الصين، لا تعكس سوى الجهل والتحيز.

• طلبت حكومة الرئيس الفنلندي نيكولاس ماوروزو أمس الخميس، فتح تحقيق لتحديد المسؤوليات في «السرقة المشينة» لذهب البلاد المودع في بنك إنجلترا.

• كلف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون «جان كاستيكس» بتولي رئاسة الحكومة الفرنسية الجديدة، بعد تقديم حكومة رئيس الوزراء إدوار فيليب استقالته في وقت سابق من اليوم.

**القرار الروسي بإعادة فتح السفارة مع التشديد أن هذه السفارة ستمثل روسيا الاتحادية على كامل الأراضي الليبية هو مؤشر على السلوك الروسي المتوقع في الفترة المقبلة**



# آسيان ومشكلة الدخول كشريكة



صياغة الشروط المستقبلية للمنطقة بشكل فاعل.

وفي وقت مبكر من عام 2017 أوقفت دول منظمة آسيان النقاش المباشر عن منطقة الهادئ-الهندي. ولهذا وخلال المناقشات التي دارت لمدة أربعة أيام تحت عنوان «أمن الإقليم» بين الولايات المتحدة واليابان وأستراليا والهند، لم تتم دعوة أية دولة من جنوب شرقي آسيا. والذي بدأ أكثر سخافة من عدم دعوة أية دولة من منظمة آسيان إلى الاجتماع، إن البيان الختامي لهذه المناقشات قد نوه إلى «محرورية آسيان» في تشكيل المفهوم المستقبلي لمنطقة الهادئ-الهندي. عكس هذا وزن منظمة آسيان الحقيقي في المعادلة القائمة، وقلص دورها المنتظر بشكل كبير.

لكن وبأية حال، من المفيد عند مناقشة استبعاد دول آسيان من عملية تبني مستقبل منطقة الهادئ-الهندي أن نمنع النظر بشكل تفصيلي في المشاكل الداخلية المزمنة للمنظمة التي أدت لهذا الأمر، خاصة على صعيد عملية تطوير موقف موحد وصلب تجاه أية قضية في المنطقة. فقد أدت مشكلة صناعة القرار بالفعل إلى إعلان «الطابع غير الرسمي» بوصفه المبدأ الرئيس لمنظمة آسيان، وذلك في غياب قدرة أطراف المنظمة على الاتفاق على القضايا الإشكالية «مثال: توحيد القيود الجمركية».

وكجزء من الشؤون الداخلية لآسيان، يمكن تفسير قلة النضج هذه ليس بنقص كفاءة أليات صناعة القرار الموجود في المنظمة، بل أيضاً بالرغبة الثابتة في التوافق لتخطي الاختلافات السياسية الموجودة في اتفاقات قديمة «مثال: رغم حقيقة أن آسيان كانت تحاول منذ مدة طويلة بناء سوق مشترك، فإن معظم دول المنظمة قد اتجهت بشكل علني نحو أسواق ثالثة، الأمر الذي جعل التطبيق مختلفاً عن التصريحات السياسية ومنع تعزيز المبادرات والمواقف الموحدة». من القضايا الحساسة الداخلية لدى دول

لدول آسيان الدور الرائد والأساسي فيما يخص القرارات المستقبلية للمنظمة ضمن الهيكل المقترح إنشائه، ذلك أن الاقتراح أتى أساساً بهدف «إيجاد القواسم المشتركة بين الشركاء الخارجيين لمنظمة آسيان، غير المتجانسين والمتنوعين».

لكن مفهوم «أشمل من دول آسيان» توقف عند مرحلة التقديم. فلم يتم تضمين الأفكار الرئيسية وجداول الأعمال التي قدمها وزير الخارجية الإندونيسي مارتي ميتالغاوا، في المناقشات التي جرت حول مفهوم المنطقة في الأعوام التالية لذلك. وإن أردنا أن نحلل بشكل تقني النهج الذي اقترحه إندونيسيا بالنيابة عن منظمة آسيان، يمكننا أن نلاحظ طبيعته الشاملة للجميع، حيث لم تكن هناك قيود على دخول أي لاعبين آخرين في المنظمة المقترح إنشائها «ولعل أبرز مثال هو: محاولة جمع الصين والولايات المتحدة». ومنذ وقت تقديم المبادرة، والتي اعتبرت في حينه من قبل أكثر الدول كمبادرة مناهضة للصين، سقطت فكرة تشكيل مفهوم شامل لدول المنطقة من المسار العام المستقبلي.

وإذا أخذنا بالاعتبار أن المواجهة بين الولايات المتحدة والصين قد ازدادت بشكل كبير في السنوات التي تلت الاقتراح الإندونيسي، فلن يكون مفاجئاً أن ننظر إلى فكرة «أشمل من دول آسيان» عن منطقة الهادئ-الهندي بوصفها غير ملائمة للمشاركين المحتملين في المستقبل. وفي ذات الوقت، فرض النقص في القدرة الاقتصادية لدول آسيان نفسه بشدة على عدم تطوير هذه المبادرة.

## صعوبات منطقة الهادئ-الهندي

من الواضح، أن دول آسيان قد وجدت نفسها بعد رفض مبادرة «محرورية آسيان» في موقف تعتمد فيه على إرادة المشاركين الآخرين في تشكيل مفهوم المنطقة المستقبلي. أثر غياب جدول أعمال واضح لدى بلدان جنوب شرقي آسيا فيما يخص منطقة الهادئ-الهندي بشكل سلبي على قدرة منظمة آسيان على

مع تصاعد عدوانية الولايات المتحدة تجاه الصين، ومحاولتها حشد كل ما يمكنها لاحتوائها عبر توتير المناطق المحيطة بها، والدخول في تحالفات هدفها في المقام الأول حصارها، تصبح ما يسمى «بمنطقة الهادئ-الهندي» مركز اهتمام دولي أكبر فأكبر. وتعد دول جنوب شرقي آسيا، ومنظمتهم آسيان (ASEAN = منظمة حكومية إقليمية تشمل عشر دول من جنوب شرقي آسيا، هدفها تعزيز التعاون الحكومي وتسهيله بين أعضائها وغيرهم من دول آسيا)، بموقعها الاستراتيجي ذي الأهمية الكبرى في إنجاح أو إفشال استراتيجية الاحتواء التي تتبعها الولايات المتحدة.



**من المفيد عند مناقشة استبعاد دول آسيان من عملية تبني مستقبلي لمنطقة الهادئ-الهندي أن نمنع النظر بشكل تفصيلي في المشاكل الداخلية المزمنة للمنظمة التي أدت لهذا الأمر**

الذي لم تنجح فيه حتى اليوم بسبب قصور دولها على اتخاذ موقف صلب وموحد إزاء تشكيل المنطقة.

## البداية غير الموفقة

بدأ من عام 2017 احتلت «منطقة الهادئ-الهندي» مركزاً كبيراً في الجدل العالمية الرئيسية، بعد أن بات ممثلو الولايات المتحدة يضمونها في خطاباتهم عن القضايا الإقليمية. إن مصطلح «منطقة الهادئ-الهندي» ظهر لأول مرة في عام 2007 في مجلة تحليل سياسي هندية، وبقي تداوله محصوراً لفترة طويلة في الأوساط الأكاديمية، ثم دخل المجال السياسي مع استخدامه من قبل عدة بلدان في المنطقة: الهند واليابان وأستراليا. وبالترزامن مع بدء استخدام المصطلح، كانت دول آسيان قد بدأت باختبار مشاكل خطيرة بسبب التناقضات فيما بينها، ولم تتمكن من فرض رؤيتها عن كون منطقة الهادئ-الهندي أكثر شمولية.

قدمت إندونيسيا في عام 2013، وذلك بوصفها إحدى الدول الرائدة في المنطقة، مفهوم «محرورية آسيان aseanocentric» فيما يخص «منطقة الهادئ-الهندي». كان اقتراح إندونيسيا يهدف إلى إنشاء منظمة إقليمية أشمل تضم جميع المبادئ الرئيسية للمنظمة آسيان «الاندماج والفهم المتبادل»، وذلك بناء على تكافؤ مؤسستين موجودتين بالفعل بين دول آسيان، هما: معاهدة الصداقة والتعاون في جنوب شرق آسيا، ورابطة أعضاء قمة شرق آسيا. ولم يكن من المستغرب أن يكون

## ■ غليب دوروشينكو تصريب وإعداد: عروة درويش

وتربط دول آسيان علاقات متشابكة مع الولايات المتحدة من جهة، والصين من جهة أخرى. فعلى سبيل المثال: شهدنا العام الماضي محاولات حثيئة من الولايات المتحدة لتوتير الوضع بين فيتنام، إحدى دول آسيان، والصين، على خلفية قضايا عالقة في بحر الصين الجنوبي. ورغم الزخم الإعلامي الذي ضخته الولايات المتحدة في المسألة، والتي وصلت إلى حد محاولتها ضم فيتنام إلى «رباعية» احتواء الصين، فلم تلق جهود الأمريكيين الكثير من النجاحات الواقعية، ويعود ذلك بجزء كبير منه إلى خشية دول المنطقة من تعاضد النفوذ الأمريكي فيها.

ترى دول آسيان- وبغض النظر عن مدى واقعية هذه الرؤية وقدرتها على تطبيقها- بأنها قادرة على الاستفادة من المنافسة بين القوى الكبرى. فمبادرة الحزام والطريق التي تقودها الصين مفيدة لها بقدر مشروع «شبكة بلو دوت» الذي أطلقته الولايات المتحدة واليابان وأستراليا، أو حتى برنامج «PSCQI» المشترك بين اليابان والاتحاد الأوروبي.

تقدم قاسيون في هذا السياق المقال التالي الذي يوضح عمق أزمة منظمة آسيان في سعيها للمشاركة في تثبيت مفهوم لمنطقة الهادئ-الهندي، لا يكون معادياً للصين، ويتوافق مع مبادئها في الاندماج وعدم الانجرار لمخططات الولايات المتحدة. الأمر

# في منطقة الهادئ - الهندي

حول العالم، تقرأ الواقع بمنطق المنافسة بين الولايات المتحدة والصين، وهي تريد أن تحصل على جميع المنافع الممكنة من عدم الاصطفاف مع أحدهما ضد الآخر في هذه المنافسة.

فالتخبط الذي تعيشه دول منظمة آسيان يعود في جزء منه إلى حاجتها لتعزيز اقتصاداتها عبر الانفتاح على لاعبين آخرين والتعاون معهم، مثل اليابان والهند وأستراليا. لكن هذه الحاجة للانفتاح يقابلها رغبة موضوعية لهذه الدول في عدم تفويت فرصة حصد منافع استمرار الاقتصاد الصيني بالتعلق والنمو، والاستفادة من المبادرات والمشاريع الصينية الواعدة، مثل مبادرة الحزام والطريق. وبعيداً عن ذلك، تخشى دول آسيان تنشيطية الإقليم وتحويله إلى بؤر متوترة ضمن خطة الولايات المتحدة لتوتير المنطقة المحيطة بالصين، الأمر الذي سيؤثر على برامج الاستقرار والرفاه المستقبلي.

## واقع ام احلام؟

بعد محاولات آسيان لتعزيز رؤيتها بخصوص منطقة الهادئ-الهندي، أخذين بالاعتبار الصمت لخمسة أعوام، والذي عبّر عن الصعوبات في صناعة القرار داخل المنظمة، تبدو هشاشة موقف آسيان واضحة. وفي هذه اللحظة تسعى دول آسيان لتنفيذ مهمتين نظريتين:

إقناع اللاعبين الرئيسيين في منطقة الهادئ-الهندي، وتحديد اليابان والهند وأستراليا، بأن رؤية آسيان للمنطقة هي الأكثر ملائمة للواقع الإقليمية الحالية.

تعزيز موثوقية المنظمة لدى الصين وروسيا، وتثبيت قدرتها على منع استخدامها كأداة بيد الدول الكبرى ضد مصالحها.

وليس من المبالغة بشيء أن نذكر بأن مراكز صناعة القرار فيما يخص مستقبل مفهوم الهادئ-الهندي ومدى تطابقها مع آمال ومبادئ دول آسيان، هي بشكل كلي خارج سيطرة دول آسيان. فدول جنوب شرق آسيا التي لم تتمكن من حسم أمرها والوقوف بشكل حازم في وجه محاولات الولايات المتحدة لتوتير المنطقة، وضعت الإقليم في حالة زعزعة وعدم يقين وفقدان الاستقلال لبناء مستقبل الإقليم. وهو الأمر الذي فتت آسيان ويهدد بالمزيد من التفتت في حال عدم القدرة على اتخاذ موقف صلب.

إن أفضل ما يمكن لآسيان أن تفعله اليوم، هو أن تضي كمنظمة واحدة للتفاوض لتطبيق رؤاها فيما يخص منطقة الهادئ-الهندي. وأن تضع في حساباتها أنها لن تكون قادرة على ذلك في ظل الاستراتيجية العدوانية للولايات المتحدة تجاه الصين. إن عدم قدرة آسيان على التعامل مع المصاعب كتلة واحدة سيعني بأنها ستفقد تأثيرها على مجريات الأحداث أكثر مما حدث منذ 2017 وحتى الآن.

قد يكون من المستحيل لآسيان أن تطبق رؤاها ضمن مجريات النزاع المتزايد بين الولايات المتحدة والصين، لكنها قادرة على التعامل مع اليابان أو الهند، وانتزاع شروط عمل تتوافق مع مبادئها المعلنة. إن فشل آسيان في تحقيق ذلك، سيؤدي إلى تفتتها كمنظمة، وبالتالي قد يهدد التعاون الإقليمي لدولها، وليزيد التوتر نتيجة التصرفات المستقلة، والمتضاربة إلى حد كبير، لكل دولة من دولها.

وكان من المنطقي والمتوقع ألا يحتوي التصريح على أية بيانات سياسية مستقبلية، حيث يتفق ذلك مع الحذر التاريخي لدول آسيان بالتعبير عن تفضيلاتها السياسية. إن دول آسيان، مثلها مثل كثير من الدول



سياسية، وعليه فإن مسألة إيجاد أساس مشترك لدول جنوب شرقي آسيا هو واحد من القضايا الرئيسة لتقديم آسيان لمبادراتها فيما يخص منطقة الهادئ-الهندي.

الأمر المميز في مبادرة آسيان الثانية، هو التخلي عن اقتراح إنشاء مؤسسة جديدة، فوفقاً للمنظمة، يمكن للولايات الموجودة حالياً في الإقليم أن تتأقلم مع القادم، ويمكن إجمال هذه المؤسسات في مؤتمر شرق آسيا «EAC»، ومنصة آسيان الإقليمية «ARF»، ومؤتمر آسيان+8 لوزراء الدفاع «ASEAN+8 CMO»، ما السبب الذي دفع بالمنظمة لهذا التغيير؟

## لماذا تتخبط دول آسيان؟

يمكن فهم الاعتماد الكبير والإصرار على مؤسسة مؤتمر شرق آسيا من خلال تشديد دول آسيان على إظهار رغبتهم بأن توافق كل من الصين وروسيا على انضمام منظماتهم لمنطقة الهادئ-الهندي، فتأكيد منظمة آسيان على الطبيعة الشمولية لرؤيتهم لمنطقة الهادئ-الهندي هو تأكيد على عدم اتفاقهم واشترائهم في أية مبادرة أو منظمة يقصد بها تنسيق موقف معاد للصين.

والمفارقة الأساسية التي تريد دول آسيان تحقيقها من الانضمام لمنطقة الهادئ-الهندي هو الدخول في تدفق اقتصادي مركز أكبر، عبر المساهمة في برامج جذب الاستثمارات الأجنبية، وتعزيز المشاريع الموجودة بالفعل، وزيادة مستوى الاندماج في منظمات العالم الاقتصادية الأخرى، وهي المنظمات التي تتفادى في الكثير من الأحيان العمل مع جنوب شرقي آسيا بسبب سمعة الإقليم السيئة في مجال المصارف والتدفقات المالية الغامضة.

وكان من المنطقي والمتوقع ألا يحتوي التصريح على أية بيانات سياسية مستقبلية، حيث يتفق ذلك مع الحذر التاريخي لدول آسيان بالتعبير عن تفضيلاتها السياسية. إن دول آسيان، مثلها مثل كثير من الدول

آسيان، والشمولية، والشفافية. لقد حاولت آسيان في هذه اللحظة أن تعطي الانطباع بأنها ستدخل في تشكيل مفهوم منطقة الهادئ-الهندي بكفاءة وضمن حدود صلبة متفق عليها بين أعضائها.

لكن في حقيقة الأمر، ومن خلال مثل هذا المقترح الفضفاض والغامض في عموميته، أظهرت منظمة آسيان من جديد عدم قدرتها على اتخاذ موقف خاص بها، وبأنها غير قادرة على رسم حدودها الخاصة بصلاصة فيما يخص المسائل الإشكالية. أدى خطاب آسيان إلى الكثير من التحليلات وطرح الكثير من الأسئلة، لكنه شكّل قناعة عامة بأن هذا الخطاب قد أعلن بداية تحول منطقة جنوب شرقي آسيا إلى منطقة تنافس بين القوى الكبرى.

ولأن دول آسيان لم تتمكن من تجنب الإقرار بهذا الأمر، فقد أعلنت في اجتماع عقد في تايلاند لكبار مسؤولي المنظمة في آذار 2019، عن إنشاء وثيقة برلمانية تعبر عن الموقف المشترك لدول آسيان من مفهوم منطقة الهادئ-الهندي. وتم نشر هذه الوثيقة في 23 حزيران 2019.

تلعب الوثيقة عن بنائها لموقف منظمة آسيان من الأمر على أسس جغرافية. فوفقاً لهذا النهج، تلعب منطقة جنوب شرقي آسيا موقعاً مركزياً في تشكيل مفهوم منطقة الهادئ-الهندي، وعليه فهي تلعب دوراً رئيساً في العمليات الاقتصادية والسياسية في مستقبل المنطقة. لقد تمّ التشديد بشكل محدد على مدى «محورية الإقليم» كتعبير عن الخوف من التنشيط المحتمل للإقليم في طور تثبيت مفهوم منطقة الهادئ-الهندي، وهو الخوف الذي يجد أساسه في محاولات الولايات المتحدة لتنشيط الإقليم منذ عام 2010 بادعاء تكثيف العلاقات مع فيتنام.

من المفيد أن ندرك بأن دول آسيان ترى بأن تنشيط الإقليم سيتبعه حكماً خسارتها لسيادتها السياسية، وستفقد المنظمة كنه وجودها، الأمر الذي قد يدفع المنطقة لأزمة

آسيان، والتي واجهتها في بناء مفهوم منطقة الهادئ-الهندي، هي التوجه لدى الدول الخارجية للتدخل في القضايا الداخلية للدول ضمن ما يسمى بمبادئ «الحرية والديمقراطية». لقد شكّل هذا الأمر خوفاً لدى دول آسيان بأن يتم تصنيفها كدول ذات أنظمة هجينة تخلق بين الممارسات الديمقراطية والاستبدادية. إن دول آسيان الحساسة بشكل تاريخي لمرحلة الاستعمار خشيت بشكل كبير من التأثيرات المحتملة على سيادتها، الأمر الذي جعل هذه الدول تستبعد في فترة ما آية فكرة لخلق مؤسسات سياسية عابرة للوطنية.

السبب الرئيس الثاني الذي أثار مخاوف دول آسيان فيما يخص تطوير مفهوم منطقة الهادئ-الهندي، هو الخسارة المحتملة لعلاقاتها مع الصين، وهي الشريك الاقتصادي الأكبر لدول الإقليم. فقد حمل العرض الأولي للولايات المتحدة وأستراليا رسالة واضحة لمناهضة الصينيين، وهو ما دفع بشكل أوتوماتيكي بجميع الدول المراقبة إلى اعتبار الموافقة على الانضمام لمنطقة الهادئ-الهندي أمراً موزياً لتدهور العلاقات مع بكين.

## رؤية ثانية لآسيان عن منطقة الهادئ-الهندي

بعد أن أدركت دول آسيان مدى خطورة استبعادهم من تطوير مفهوم منطقة الهادئ-الهندي، خطت في عامي 2018-2019 خطوة نحو توحيد موقف المنظمة من هذه القضية. تمت المحاولة الأولى لتقديم رؤية «محورية آسيان» لمنطقة الهادئ-الهندي مرة أخرى، في مؤتمر بلدان شرق آسيا الثالث عشر «EAC» الذي عقد في سنغافورة في تشرين الثاني 2018. وبعد الإقرار بالخواء الذي تركه نقص استجابة منظمة آسيان لمفهوم منطقة الهادئ-الهندي خلال الأعوام الخمسة التي سبقت الاجتماع، تمّ تقديم اقتراح يتضمن بعض النقاط المتفق عليها منذ 2017، وهي: الاحترام والثقة المتبادلة، ومحورية منظمة

# تحول الوعي والتفاوت التاريخي..



قد يصاب الكثيرون بالإحباط نتيجة ما يعتبرونه استعصاء الوعي الاجتماعي على قبول أفكار التغيير الجذري، وما يتطلبه ذلك من قناعات عميقة تعبر عنها الممارسة، بمعزل عن علاقة هذه الفئات بالأحزاب السياسية التي ترفع شعار التغيير. المقصود بالاستعصاء هو الرواسب الموروثة من المرحلة الماضية وفكرها المهيمن، والتي لا زالت تتحكم بمفاصل بنية الفكر العام. ولكن هذا بحد ذاته هو سقوط في فخ التبسيط واستسهال التحليل.

■ محمد المعوش

## انتقال الوعي والضرورة

الانتقال على مستوى الوعي، كما في المجتمع وعلاقاته، حاد ومتعرج، خفي حينا وظاهر حينا آخر، يتسارع ويتباطأ حسب مجريات الحدث، ولكن الأكيد: أن الضرورة تفرض ذاتها على عملية الانتقال. ولكن لكي نحدد صعوبة الانتقال علينا أن نراجع نوعية الوعي الذي يحصل فيه التناقض، ويشهد ضرورة الانتقال رداً على الأزمة في الواقع المعاش.

## الوعي الليبرالي في انتقاله

إن الوعي الذي جرى إنتاجه طوال العقود الماضية، هذا الوعي الذي تمت الهيمنة عليه من قبل الفكر السائد وقيمه وأهدافه، هو الوعي الليبرالي. إذا لا بد لخصائص هذا الوعي بالذات أن تتحكم بنظرته إلى الواقع الجديد المأزوم الذي وجد نفسه فيه. ومن أهم هذه الخصائص: القناعة بالمستقبل السعيد والواقع المستقر البعيد عن الانهيارات، واستبعاد الخسارة، والقناعة المطلقة بالقدرة على النجاح، واعتبار الواقع الاجتماعي بيئة «صديقة»... إضافة إلى العديد من خصائص الفكر الليبرالي المعتم. هذه الخصائص تركت ملامحها وتأثيرها العميق في الجهاز النفسي

للأفراد وفي شخصيته. فهي تركت الفرد بدون أسلحة تحصنه في زمن الأزمة. هذه الأسلحة التي تعينه على الدفاع عن تماسكه في الحد الأدنى، وتعيّنه على مواجهة الأزمة لتخطيها في الحد الأقصى. هذه الصعوبات تجعل من مرحلة التحول ممتدة زمنياً، وغير محسومة المراحل بشكل ميكانيكي. إذا ما أضفنا إلى ذلك أن الوعي لا يعني الانعكاس الميكانيكي للواقع أساساً، بل هو انعكاس غير مباشر يمر بوسيط هو ذاته ممارسة الفرد ووعيه المسبق للتشكل.

## الممارسة كوسيط أساس

من هنا ندخل إلى قضية أخرى هي دور الممارسة كوسيط. فإن يكتسب الوعي علاقة تفاؤلية تجاه الواقع التاريخي، يعني بالضرورة أنه يملك صفة القدرة على الفعل، وبالتالي التملك النظري والمعرفي السابق لهذه الفعلية. ولكن نحن اليوم أمام تراجع تاريخي للبدل الثوري، الذي هو منصة معرفية ونظرية أساسية لتقديم أدوات هذا التملك للفئات الاجتماعية. ونتيجة الكبح في الممارسة الثورية لكل فرد، ونقص ذلك الممارسة الثورية التي تملك قدرة التأثير، لا فقط في القول والخطاب، نتيجة لهذا الكبح يدخل الوعي في علاقة خضوع

أمام الواقع مهما تمرد على الواقع ورفضه. الخضوع هو ضعف الفعلية نحوه. هذا ما نشهده مثلاً في مجتمعنا بعد الموجة الشعبية الأولى التي انطلقت في العقد الماضي، ولمست الجماهير نتيجتها غير المرضية، ما أنتج عنصراً جديداً للإحباط، أي ما ثبت للجماهير عدم القدرة على الفعل بالملحوس التاريخي، مع أن ضعف الفعلية هذا نابع من خلل في الممارسة والرؤية والمشروع السياسي، وليس ضعفاً مطلقاً في الحركة.

## مقارنة تاريخية

عند المقارنة التاريخية مع الحركة الثورية في القرن الماضي نرى أن العديد من الصعوبات التي مررنا عليها أعلاه لم تكن حاضرة، وأهمها: الصعوبات المرتبطة بالخصائص النفسية والذهنية للقوى المقهورة. وقتها كانت تلك القوى ذات علاقة صراعية صريحة مع البنية السياسية الاستغلالية المباشرة، على عكس الاستغلال الناعم الذي تطور في المنتصف الثاني من القرن الماضي. هذه الخصائص كانت قاعدة أساسية في الاستعداد القتالي طويل الأمد لدى الجماهير، فالنقلة الثورية على الأزمة بالنسبة لها لم تكن مرحلة عابرة، بل كانت نمط حياة تمرست في حوضه طوال سنين حياتها نتيجة الواقع القهري المباشر. وهي لذلك كان محصنة بالمعنى الذهني والنفسي لقبول الخسارة. فالخسارة بالنسبة لها كانت القاعدة. على عكس البنية الذهنية والنفسية في المرحلة الراهنة، حيث كان الريح هو قاعدتها المكونة لملامحها.

## بين الخسارة والربح

هذا الاختلاف في الاستعداد النفسي وفي بنية الشخصية لتقبل الخسارة الوجودية بين الفكر «ما قبل» الليبرالي، وبين الفكر الليبرالي، هو عامل مفصلي في فهم الدينامية التي تتحكم في وعي الأفراد في مرحلة الأزمة، ومعانيها. هذا «العناد» التاريخي على الرغم من عدم قدرته على الصمود طويلاً في حياة الفرد، نتيجة الواقع غير القابل للمساومة، إلا أنه يجعل من الفرد في حالة ذهول وصدمة ليس من السهل الخروج منها متماسكاً، وهذا نوع من أنواع خسائر الحرب في حياة المجتمعات. فالموجات الثورية تخرج من قلب حالة دمار وانهايار اجتماعي تكون غالباً دامية، ليس في بدايتها فقط بل في مسارها. هكذا كانت مسارات الثورة الروسية والصينية والكوبية والفيثنامية... ولكن نحن اليوم نعيش نوعاً خاصاً من الخسارة، يمكن تسميتها بالخسارة الهجينة، التي هي تعبير عن الحرب الهجينة نفسها، التي هي بين التدمير الناري والتدمير الناعم.

## دواعي للتفاؤل؟

ما نشهده إذاً، هو بحد ذاته خاضع لتأثيرات هذا الفكر السائد، فالانتقال في الوعي لن يكون سريعاً، بل هو يمر بعملية إعادة تشكيل حادة، فيها من الخسائر ما فيها. لننظر إلى البنية اللبنانية نفسها والوعي الشعبي فيها، والذي صدمته الأزمة وتسارعها كالصاعقة. وهذا كله ليس خارج مدعاة التفاؤل الأساس، التي هي المسار السياسي البديل الذي يفتح أفقاً محتملاً، والذي دونه سينهار الوعي على ذاته، ويتعطل في بؤسه.

■ أن يكتسب الوعي علاقة تفاؤلية تجاه الواقع التاريخي يعني بالضرورة أنه يملك صفة القدرة على الفعل

# هاتوي محارب التايينو العظيم

في مدينة باراكوا الكوبية كُتب على لوحة قاعدة لتمثال شامخ: «إلى ذكرى الزعيم هاتوي» سلف الحرية الكوبية الذي أعدم حرقاً على يد الأوروبيين عام 1512.

## فاسيون

هاتوي هو محارب عظيم من شعب التايينو، المحارب الذي قتله الإسبان أثناء غزو العالم الجديد في القرن السادس عشر الميلادي. فقبل أن تكون العبودية موجودة في المستعمرات الأوروبية في العالم الجديد، وحتى قبل أن تغامر سفن الرقيق الهولندية والبريطانية الأولى بأعمال القرصنة وبيع البشر، اكتشف الغزاة الإسبان شعب تايينو في البلاد التي أطلقوا عليها اسم هيسبانيولا «الآن هايتي وجمهورية الدومينيكان» وكوبا.

سنة 1512، دعا شعب التايينو الإسبان إلى وليمة عظيمة على شرفهم. وبعد الوليمة والتهام الطعام والشراب، سحب الإسبان سيوفهم وقتلوا من استضافهم وقطعوا الأطفال والنساء والرجال، وأجبروا البقية على العبودية وتبادلوا الفكاهات فيما بينهم أثناء الثمالة حول من قتل أكثر! تمكن 400 شخص من أصل 2500



الجحيم إلى الأبد. سأل هاتوي: هل يوجد إسبان في الجنة؟ ضحك الجنرال: أوه، نعم السماء مليئة بالإسبان. فكانت آخر كلمات هاتوي: أفضل أن أحرق في الجحيم إلى الأبد بدلاً من قضاء يوم واحد في الجنة مع الإسبان. فربطوا هاتوي إلى كومة خشب وأعدموه حرقاً بالنار.

وتعرضوا للحصار والأسر. مثل هاتوي محارب التايينو العظيم أمام الجنرال الإسباني الذي أخبره: إذا قبلت ملك إسبانيا بصفته ملكك ويسوع المسيح كمخلصك، فسوف نقتلك بسرعة وستتجه إلى الجنة السماوية إلى الأبد. ولكن إذا كنت لا تقبل الملك ويسوع، فسوف نحرقك على قيد الحياة وستكون ملعوناً للحرق في

من شعب التايينو النجاة من المجزرة ونزحوا على متن الزوارق من هيسبانيولا إلى شرق جزيرة كوبا. ومن هناك، قاد هاتوي أول حرب عصابات ضد الغزو الأوروبي لنصف الكرة الغربي. نفذت فرقته العديد من هجمات الكر والفر ضد الغزاة ولم تُهزم في معركة واحدة. لكن خائناً أعلم الإسبان عن الجبل حيث اختبأوا

## أخبار ثقافية

### كانوا وكنا



نشرت جريدة «صوت الجامعة» في عدها الأول بتاريخ 11 كانون الأول 1950 خبر إضراب طلاب كلية الطب من أجل الحقوق التعليمية، كما عرفت الحركة الطلابية السورية بمواقفها ضد الأحلاف الحربية للاستعمار، وجمعت النضال الوطني مع النضال في سبيل الحريات الديمقراطية والحقوق الجامعية إبان صعودها في القرن العشرين. في الصورة مظاهرة طلاب وطالبات جامعة دمشق تضامناً مع فلسطين ولواء اسكندرون عام 1950 نقلاً عن جريدة «صوت الجامعة».



### التصويت في مسابقة ستينين

وفقاً للتقاليد، يمكن لمستخدمي الإنترنت أيضاً تحديد أفضل عمل بين أولئك الذين دخلوا في القائمة القصيرة في مسابقة أندريه ستينين 2020. وللمشاركة في التصويت عبر الإنترنت، يجب استخدام حساب في إحدى الشبكات الاجتماعية VKontakte أو Facebook أو Twitter أو خدمة Weibo الصينية. التصويت مفتوح حتى منتصف الليل من 31 تموز الجاري. وسيتم الإعلان عن الفائز في التصويت عبر الإنترنت في أوائل آب القادم، وسيتلقى مؤلف الصورة الأكثر شعبية على الإنترنت شهادة المسابقة. وفي أيلول القادم، سيتم الإعلان عن الفائزين في المسابقة على الموقع الرسمي للمسابقة، يلي الإعلان افتتاح معرض الصور للفائزين.



### الذكاء الاصطناعي والإدارة

أدخلت بلدية تشونغتشينغ جنوب غرب الصين سلسلة من تقنيات الذكاء الاصطناعي في الإدارة الحضرية، وفقاً لما ذكرته صحيفة ساينس أند تكنولوجي ديلي. وذكر التقرير: أن هذه التقنيات مصممة لتلبية الاحتياجات الحضرية للمدن الجبلية الكبيرة، وهي مدينة تجريبية على مستوى البلاد للجيل الجديد من تطوير تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في الصين. وتركز السلسلة المكونة من 10 تقنيات على تمكين البلدية لتكون «ذكية» في مجالات إدارة المدينة، وأنظمة الأمن، والخدمات القانونية العامة، والمنتزهات، وحماية البيئة، والخدمات اللوجستية الحديثة، والتصنيع الذكي وتحسين أنماط حياة الناس بما في ذلك السفر والرعاية الصحية وبيئة العمل والقيادة الذاتية.

## للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الإسم	الهاتف	دمشق وريفها	محمد عادل اللحام	0944484795	طرطوس	صلاح معنا	0999725141	الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
درعا	خالد الشرع	0968844820	حمص	محمد زهري زهرة	0933145891	حماة	أنور أبوحماسة	0933763888	حلب	جمال عبدو	0933796639
السويداء	هاني خيزران	0952769397	اللاذقية	صلاح طراف	0988386581	دير الزور	زهير المشعان	0932801133	الرقبة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 2020/07/05» «فاسيون» اصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18

فاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 2011/12/03

## الأفلام والقصص القصيرة:

# زمن ثقيل وشخصيات مغتربة



### ■ نور ابو فراج

هناك كما يبدو، سوء فهم شائع يتعلق بفنون ذات طبيعة خاصة، مثل: القصة القصيرة أو الفيلم القصير. يظن البعض بأنه يكفي أن تكون الأفلام المصورة أو القصص المكتوبة قصيرة، مقارنة بعمل روائي أو فيلم طويل حتى تستحق الاسم. لكن الأمر في الحقيقة لا يتعلق بالحجم فقط، بل بالبنية وما تفرضه من أساليب فنية.

في هذا النوع من المحاولات الأدبية: أن زمن الفعل فيها يبدو ثقيلًا وأكثر وطأة من زمنه الحقيقي، بحيث يشعر القارئ بضييق لا يصدق وهو يحاول إنهاء صفحة واحدة أو عدة أسطر.

القصة القصيرة من وجهة نظر الناقد الإيرلندي فرانك أكونور هي «حكاية الرجل الصغير»، أو بالأحرى حكايا الناس المغمورين كالموظفين والعاهرات والخدم، وهي شخصيات تهيم على حواف المجتمع. وبالتالي، يرى أن الفرق بين الرواية والقصة القصيرة فرق في القالب وفرق إيديولوجي أيضاً. يقول أكونور: «وبما أن حياة بأكملها لا بد أن تحتشد في بضع دقائق فإن هذه الدقائق لا بد أن تختار بعناية حقيقية. ويضيف مؤكداً بأن الكاتب كثيراً ما يكون عرضة لخطأ فاحش بحيث تتحول قصته إلى حكمة أو «قصة طويلة قصيرة».

ونرى خلافاً مشابهاً مرتبطاً بفهم الزمن في بعض المحاولات السينمائية، فعلى سبيل المثال: نجد الكثير من المخرجين الشباب السوريين مغرمين بمشاهد البكاء والعيول، على اعتبارها تحمل بنظرهم شحنة انفعالية عالية. وبناء عليه، كثيراً ما نرى مشهداً يصور بطولة أحد الأفلام منذ الثانية التي تبدأ عينها تغرورقان بالدموع؛ نرى الدمعة تجري على الخد، وصوت النحيب يرتفع، ويتخلله وقات واستراحات، تعاود بعدها الشخصية بكاءها فيما يستجدي المشاهد في سريره لحظة القطع (Cut) التي لا تأتي.

### الفرق بين الرواية والقصة القصيرة فرق في القالب و الفرق إيديولوجي أيضاً

### هوس المقولات الكبيرة

من جانب آخر، يظهر سوء فهم متعلق بالنزوع لاختيار مقولات كبيرة ووطنانية كالخيانة، والفقر، وحب الوطن، والصداقة. كي يتم إيصالها عبر قصة أو فيلم قصير. وعلى اعتبار أن الوقت لا يسمح بالتبحر، وتكون النتيجة تقديم المقولة بصورة مبتذلة ومبسطة تستخف بعقول المشاهدين والقراء. يقدم الفيلم- القصة القصيرة، في أحسن الحال جزءاً من جزء متناهي الصغر من مقولة كبيرة، لكن النجاح الحقيقي يتجلى في تقديمها بأكثر درجة ممكنة من العمق. هكذا تتحقق الخصوصية والاستثنائية في استكشاف مشاهد، أو مواقف، أو حوادث في الحياة اليومية، قد تبدو في الظاهر عابرة وبسيطة لكنها تحكي الكثير عن ظرف الشخصية ومشاعرها وصراعاتها.

### ميزانية مخصصة للانفجارات

يدرك صناع الأفلام القصيرة مسبقاً، أنهم غالباً ما يحصلون على ميزانيات منخفضة لإنتاج أعمالهم. وبالتالي يكون لزاماً عليهم التفكير في الأولويات، وإيجاد أفضل السبل لاستثمار الإمكانيات المتاحة. وهذا أمر قلما نراه مثلاً في التجارب السورية الشابة، التي عالجت موضوعة الحرب ضمن «مهرجان سينما الشباب» في دورته الحالية والسابقة. إذ تكاد تخلو إحداها من مشاهد القصف والانفجارات والمداهمات. كما لو أن إعادة تمثيل الانفجارات، التي لم ينسها المشاهد بعد، تلتهم الكتلة الأكبر من أية ميزانية، وتترك فئات يتم توزيعها على أزياء مبتذلة، أو مشاهد ضعيفة تقنياً وأدائياً. بحيث لا يكون مفهوماً أي انتصار حققه شاب استطاع إعادة خلق انفجار حفظه حتى الملل كل أبناء جيله؟

### قل ما تريد قوله

كثيراً ما يحصل، حينما يجد الهواء الفرصة سانحة لإنتاج فيلم قصير أو كتابة قصة قصيرة، أن يهربوا لما يظنون بأنه يتوجب عليهم قوله أو معالجته في نتاج فني، بدلاً من التفكير بحرية فيما يريدون قوله حقاً، مهما بدت أفكارهم بسيطة. فنراهم يقولون في سرهم: «لا بد من كتابة قصة عن معاناة اللاجئين»، فيختلقون شخصية تشارك للحصول على لم شمل أو توشك على الغرق في المحيط. أو يقولون: «الوضع الاقتصادي شديد السوء، لا بد أن أصنع فيلماً يصور معاناة الطبقة الفقيرة، فالخلق شخصية، ثم لأجعلها تتعذب وهي تبحث عن عمل، أو تتأمل الأغنياء يتناولون عشاءهم في مطعم فخم». وكثيراً ما يأتي نمط التفكير هذا بنتائج معاكسة للهدف المطلوب، فيشعر المتلقي بالنفور من القضية. فعلى سبيل المثال: تريد الكثير من الأفلام التي تصور حياة المعدمين في سورية إثارة شفقة المشاهد عليهم، تصورهم ضعيفين، مسحوقين، بحيث يشعر المشاهد بمسافة من الحدث، ولا يبني أية صلة مع الشخصية التي يراها أمامه. هذا يترك المشاهد يتساءل: «لماذا لا نرى في كل هذا الكم من الأفلام القصيرة فقيراً يشعر بالغضب؟ مع أن هناك الكثير الكثير مما قد يستدعي غضبه في الحقيقة؟ لماذا يعاني كل فقير بذات الطريقة ويواجه ذات العقبات؟

فعلى الرغم من أن الشباب يمتلكون الكثير مما يريدون قوله لو سئلوا عن مشاعرهم وأفكارهم، لكننا نجدهم يحيون كل ذلك جانباً، ويخلقون شخصيات مغتربة أمام الكاميرا أو على الورق، لا تشبههم كفنانين، ولا تشبهنا كشاهدين.